

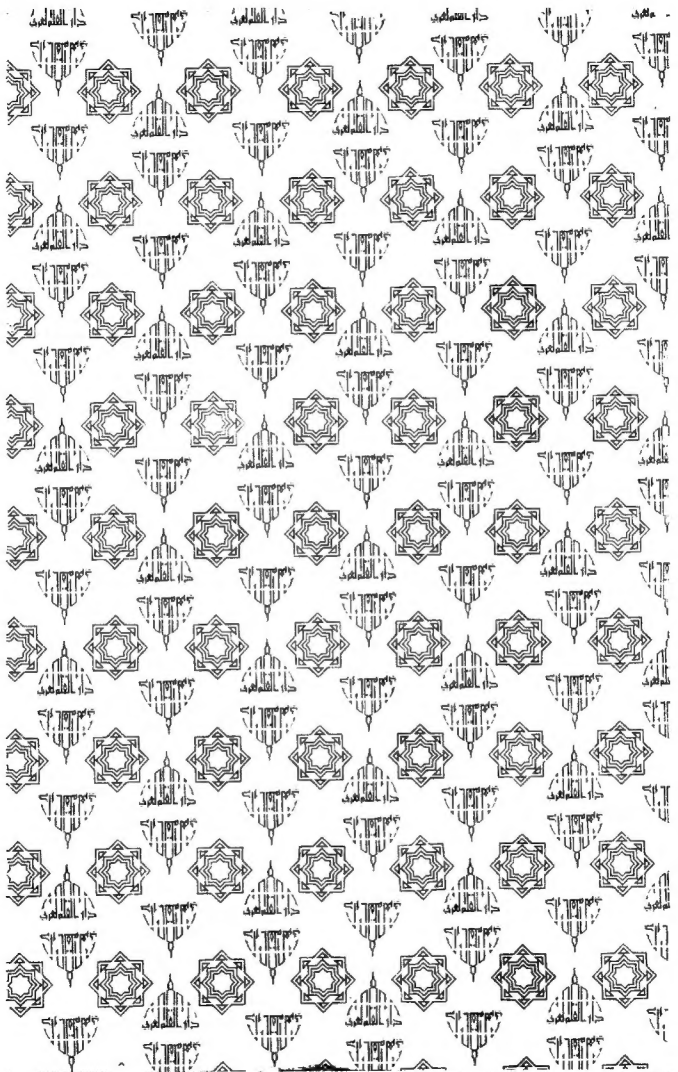
معارك عربية إسلامية خالدة

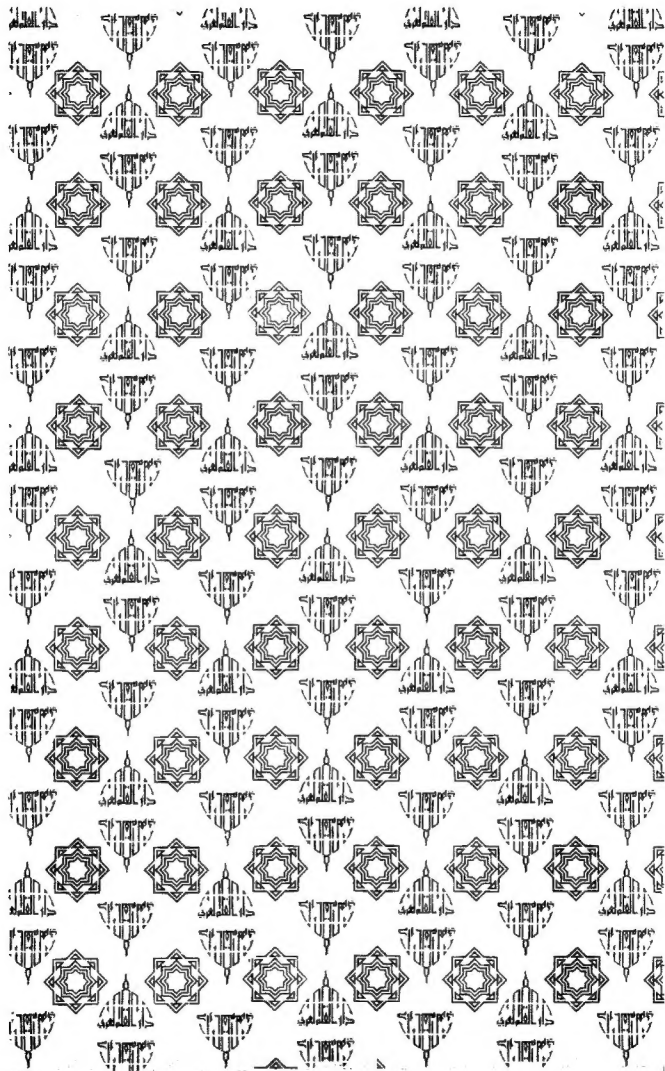
٥ - معركة حنين

٦ - معركة اليمامة



دار القلم العربي





معارك عربية خالدة

٥

معركة حنين

اعداد

عبد القادر بن كريمة
مكتبة علم
دار القلم العربي
مكتبة الاسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

٩٠٥٢٢

رقم التسجيل

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست
خلون من شوال فأنتهى إلى حنين في عاشره.
ثانياً: سببُ تسميتها.

سُميت بمِعرَكَة حنين نسبةً إلى المكان الذي وقعت فيه أو
هو وادٍ من أودية تهامة بين مكة والطائف حيث كانت الوقعة
بين المسلمين وهوازن.

وانصرف لفظ (حنين) لأنه اسمٌ منكرٌ وهي لغة
القرآن. قال القرطبي: ومن العرب من لا يصرفه بجعله اسماً
للبيعة وأنشد: (١)

نصروا نبيهم وشفوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطال
ثالثاً: أسبابها.

لما فتح الله عز وجل على نبيه ﷺ مكة، ودخلها
منتصراً مظفراً، وأسلم جميع أهلها، ودخلوا في دين الله أفواجا،
اغتاظت القبائل العربية من هذا الفتح العظيم، ولما رأوا من
كثرة المسلمين وقوتهم، وانتصارهم في جميع الغزوات والمشاهد
لا سيما وقد توجت هذه الانتصارات بنصرٍ عظيم، وفتحٍ مبين.

(١) هو حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ

شعر زعماء تلك القبائل بأن المسلمين أصبحوا يشكلون
خطراً على سيادتهم ومصالحهم وعقيدتهم، فجمعوا كلمتهم،
ووحّدوا صفّهم، وكوّثروا جبهة قوية مترابطة لقتال المسلمين،
وكسر شوكتهم قبل أن يقوم المسلمون بمهاجمتهم خاصة بعد أن
زحفوا على مكة وفتحوها بكل يسر وسهولة، وبدون قتال، الأمر
الذي أثار حفيظة زعماء القبائل وجعلهم يتراسلون للتشاور بشأن
القضاء على المسلمين قبل أن يستحل أمرهم ويشكلوا خطراً
عليهم.

والذي زاد دهشهم، وقنف الرعب في قلوبهم سرعة
انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وما حولها وإقبال الناس
عليه وتفاعلهم معه، وهم الذين يعلمون أن محمداً ﷺ بدأ
دعوته وحيداً، ثم هاجر إلى المدينة ليعود بعد بضع سنين إلى
مكة بلده الأول على رأس عشرة آلاف مقاتل، الأمر الذي
أذهلهم وأدهشهم وجعلهم يوحدون صفّهم ليقفوا صفّاً واحداً،
وجبهة واحدة أمام الزحف الإسلامي الهادر.

تأليبُ المشركين

رأى المشركون أن عليهم أن يكونوا يداً واحدةً لمواجهة المسلمين الذين أخذوا ينتقلون من جهادٍ إلى جهادٍ، ومن نصرٍ إلى نصرٍ، ومن فتحٍ إلى فتحٍ.

والذي قام بتأليبِ الناسِ مالكُ بنُ عوفٍ النصرى الذي اتصل بزعماء القبائل، وأخذ يؤلبهم على قتال المسلمين، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، كما اجتمعت قبائل نصر وجشم، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وجعلوا القيادة لمالك بن عوف.

وكان في ثقيف سيدان لهما خبرة في الحرب وتجربة في فن القتال وإدارة المعارك والتخطيط لها.

وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب. وفي بني مالك نو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك وأخوه أحمز بن الحارث.

وفي جشم نريد بن الصمة، وكان شيخاً كبيراً ذا حكمة ودراية واسعة في أمور الحرب والمكيدة، ولم يكن له في الأمر شيء سوى التيقن برأيه والاستعانة بخبرته.

وهكذا اجتمعت تلك القبائل صفاً واحداً وقد بلغ عدد مقاتليها ثمانية آلاف مقاتل، وقيل: أربعة آلاف، وجماع أمر هؤلاء إلى مالك بن عوف النصراني الذي أخرج مع الكفار نساءهم وأموالهم وأولادهم ومواشيهم معتقداً أن ذلك يجعلهم أكثر حماسةً وأشدَّ قوةً عند لقاء المسلمين، وانطلق بهم حتى بلغ أوطاس^(١) وكان معه دريد بن الصمة، فقال: بأي واد أنتم... ؟

قالوا: بأوطاس.

قال: نعم مجال الخيل... ! لاحزن^(٢) ضيرس، ولا سهل دهن^(٣)، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء^(٤)... ؟

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

قال: أين مالك... ؟

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن وفيه كانت معركة حنين، وفيها قال النبي ﷺ حين استمرت الحرب: الآن حمي الوطيس، وهي عبارة أول من قالها النبي ﷺ، ولم يسبق إليها.

(٢) الحزن: المرتفع من الأرض، والضرس: الذي فيه حجارة محددة.

(٣) الدهن: اللين الكثير التراب، يريد أنه موضع مناسب للقتال.

(٤) رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء: أصواتها

قيل: هذا مالك، ودعي له ، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت
رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع
رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويغار الشاء... ؟
قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم.
قال: ولم ذاك...؟
قال: أردت أن أجعل خلف كل رجلٍ منهم أهله وماله
ليقاتل عنهم.

فجزره دريدٌ وقال له: راعي ضأن، والله، وهل يردُّ
المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه
ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك.
ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكلابٌ...؟
قالوا: لم يشهدا منهم أحد.
قال: غاب الحدُّ والجذُّ^(١)، ولو كان يوم علاء ورفعة لم
تغيب عنه كعبٌ ولا كلابٌ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ
وكلابٌ، فمن شهدا منكم...؟
قالوا: عمرو بنُ عامرٍ، وعوف بنُ عامرٍ.

(١) الحدُّ والجذُّ: يريد الشجاعة والحدة.

قال: ذاك الجذعان^(١) من عامر لا ينفعان ولا يضُران،
يامالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٢) هوازن إلى نحور
الخيَل شيئاً، أرفعهم إلى مَتَمَّعِ بلادهم، وغلبا قومهم ثم القِ
الصِّبَاءَ^(٣) على متونِ الخيل، فإن كانت لك لَحَقَّ بِكَ مَنْ ورائك،
وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك.

وكان دريدُ بنُ الصِّمَّةِ أرجحَ القومِ عقلاً، وأعلامهم رأياً،
وأكثرهم خبرةً بالحروب، وتجربةً بالرجال، وكان قد أَسَنَ حَتَّى
بلغ مائةَ وعشرين سنةً كما قيل، وقيل: أكثرَ من ذلك، وفي
رواية: أنه قال لمالك:

يامالك، إنك مقاتلٌ رجلاً قد أوطأَ العربَ، وخافتهُ العجمُ،
وأذلَّ اليهودَ وأجلاهم...

فقال مالك: لا تخالفك في أمرٍ تراه.

فقال دريدُ: مالي أسمعُ هذه الضوضاءَ...؟

فقال مالك: سقتُ مع الناسِ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم
ليكونَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلهُ ومالهُ يقاتلُ عنهم.

(١) الجذعان: الضعيفان في الحرب، بمنزلة الجذع في شجرة.

(٢) بيضة هوازن: جماعتهم.

(٣) الصبَاء: جمع صبياء، ويقصد بهم المسلمين لأنهم خرجوا عن دين الجاهلية إلى
الإسلام.

فقال دريد: وهل يَرُدُّ المنهزمُ شيء...؟ فإن كانت لك
فذاك، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك.

ولكن مالك بن عوف تمسك برأيه، وأبى أن يتخلى عن
خطئهِ، ورفض أن يطيع دريداً لاعتقاده أنه لم يعد يستطيع إبداء
الرأي الصائب بسبب كبر سنهِ، بينما كان مالك في ريعان شبابه
وعفوانهِ، وأوج قوته وحيويته، فقد كان ابن ثلاثين سنة.

وبسبب ذلك وقع الخلاف بينهما، وغضب دريد واعتزل
القوم، ولم يشاركهم في القتال، ولربما كان هذا لصالح
المسلمين...!!

خاصة وقد قال مالك لدريد: إنك قد كبرت وكبر عقلك،
والله لتطيعنني يامعشر هوازن أولاكئِنَّ على هذا السيف حتى
يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد بن الصمة في القتال
نكر أو رأي، فقال له القوم: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم
أشهد، ولم يفتني، ثم قال:

باليبتى فيها جَدَعٌ أُخِبْتُ فيها و أَضَعُ (١)
أقود وطفاء الزمَع كئثها شاة صَدَعُ (٢)

(١) الجدع: الشاب، والخبب والوضع: ضربان من السم. (٢) الوظفاء: الطويلة الشعر، الزمع: الشعر يكون
فوق مِرْبَط قيد الدابة، والشاة: الوعل، وصدع: وعل ليس بالمظيم ولا الخفير.

وأغمد سيفه، واعتزل القوم.

ووقف مالك بن عوف أمام الناس يحضهم على القتال،
ويشجعهم على الثبات في وجه المسلمين فقال: إذا رأيتموهم
فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

ثم بعث عيوناً^(١) من رجاله يرصدون له تحركات
المسلمين، فرجعوا إليه وقد أصابهم الرعب وتفرقت أوصالهم،
فقال: ويلكم، ما شأنكم...؟

فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله
ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى.
ومع ذلك لم يثبته هذا النبأ عن عزمه على الرحيل،
وإصراره على قتال المسلمين.

(١) العيون: الجواسيس.

استعداد الرسول ﷺ للقاء هوازن

بلغت الأخبار رسول الله ﷺ أن المشركين اجتمعوا لقتاله، فبعث عيوناً ليأتوه بالخبر اليقين عن استعداد هوازن وغيرها للقتال، فرجعوا فأخبروه أن القوم قد أجمعوا على حربه، وأن عليهم مالك بن عوف النصري.

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك وأخذ من عيونِهِ الخبر اليقين لبس عدة الحرب، وعبأ جنوده وجعل قيادة المهاجرين لعلي بن أبي طالب، وقيادة الأوس لأسيد بن حضير، وقيادة الخزرج للخباب بن المنذر، ثم انطلق يقود ذلك الجيش الذي بلغت عدته اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف منهم كانوا قديموا معه لفتح مكة، وألفان من الذين أسلموا من قريش بعد الفتح، واستعمل على مكة نائباً عنه عتاب بن أسيد، ومن الجدير بالذكر أن ثمانين رجلاً من المشركين خرجوا مع رسول الله ﷺ لشدة أزره والقتال معه كراهية أن يتغلب الأعراب على قريش، وفي الأعراب غلظة وجفوة و^(١)عشمرة ليست لقريش.

ومن المشركين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ

(١) العشمرة: الظلم والكبر

صفوانُ بنُ أميةَ، وسُهَيْلُ بنُ عمرو، وكان عند صفوانَ بنِ أميةَ دروعٌ وأسلحةٌ كثيرةٌ فأراد رسولُ الله ﷺ أن يستعيرَ منه بعضها فقال له: يا أبا أميةَ، أعزُّنا سلاحك هذا تلقَّ فيه عدونا غداً.

فقال صفوانُ: أغضباً يا محمدُ... ؟
قال: بل عاريةٌ ومضمونةٌ حتى نؤديها إليك.
قال: ليس بهذا بأسٌ، وأعطاه مائةَ درع، وما يحتاجه من سيوفٍ ورماحٍ فلما عبأ رسولُ الله ﷺ جيشَه وسار به رأى بعضُ المسلمين كثرتهم فتدخلهم شيءٌ من الزهو والعجب فقالوا: لن نهزمَ اليومَ من قلةٍ.

ثم انطلق رسولُ الله ﷺ بأصحابه، واتحدر في الوادي عند غبشِ الصبحِ وكان المشركون قد كمنوا له في بعضِ شعابِ ذلك الوادي ومضايقه دون أن يشعر رسولُ الله ﷺ والمسلمون بكمينِ المشركين.

هول المفاجأة

بينما كان المسلمون يمشون في مضايق وادي خنين للقاء هوازن لم يشعروا إلا وقد انقضَّ عليهم فرسان المشركين من كل جانب، فما لبثوا أن حملوا عليهم حتى هربوا في كل جهة، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: فأكبنا على الغنائم، فخرج علينا من كانوا كامنين في الشعاب والمضايق واستقبلونا بالسهم، فولينا مدبرين لا يلوي أحدٌ منا على أحد.

ويقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: لما استقبلنا وادي خنين، انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف ذي حطوط، إنما ننحدر فيه انحذاراً، قال: وفي عمالة الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنا لنا في شعابه وأحنائه ^(١) ومضايقه وقد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن ^(٢) منحطون إلا الكتائب وقد شنوا علينا شدة رجل واحد، وانتشر ^(٣) الناس راجعين لا يلوي أحدٌ على أحد. وهرب المسلمون من أرض المعركة، وتفرقوا في كل جهة لشدة ما أصابهم من هول المفاجأة، وانقضاض المشركين عليهم بغتة، ولقد بلغ بعضهم مكة هاربين

(١) أحناء الوادي: جوانبه، والأجوف: المتسع، حطوط: منحدر. (٢) ملحطون: نازلون في منحدر الوادي. (٣) انتشر الناس: انفضوا وهربوا.

متقهقرين، ليصل الخبرُ إلى أهلها، وكان منهم مَنْ لا يزالون على شركهم ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، فكان ذلك مدعاةً لظهور ما أكتوه في قلوبهم، وأسروه في نفوسهم فقال بعضهم وهو يعبرُ عن فرحته ويظهرُ شماتته بهزيمة المسلمين: انتهى أمر الإسلام وغداً يرجع العربُ إلى دينهم الأول، فإن هذه الهزيمة لا تقف دون البحر.

وقال هشامُ بن كَلْدَةَ وكان أخاً لصفوان بن أميةَ لأمه:
بطل سحرُ محمدٍ.

فقال له أخوه صفوانُ ولم يكن قد أسلم بعد: اسكتَ فضَّ الله فاك، فو الله لأن يربِّي (١) رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من أن يربِّي رجلٌ من هوازن.

ومرَّ بصفوان رجلٌ من المشركين فقال له: أبشرْ بهزيمة محمدٍ وأصحابه فو الله لا يجبرونها أبداً.

فغضب صفوانُ وقال: أتبشِّرني بظهور الأعراب...؟ فو الله لربُّ من قريشٍ (٢) أحبُّ إليَّ من رجلٍ من الأعراب.
وردَّ عكرمةُ بن أبي جهلٍ على مَنْ قال: والله لا يجبرونها أبداً، قائلاً: ليس هذا لك ولا بيدك، الأمرُ بيد الله ليس

(١) يربِّي: أي يملكني. (٢) لرب من قريش: معناه ملك منها.

إلى محمدٍ منه شيءٌ، إن^(١) ديلٌ عليه اليوم، فإن له العاقبةَ غداً.
وفي هذه اللحظاتِ الرهيبةِ والقاسيةِ وقد هرب المسلمون
وأخلوا أرضَ المعركةِ ولم يبقَ مع رسولِ الله ﷺ إلا حوالي
ثمانين مقاتلاً يدافعون عنه ويقاومون جموعَ المشركين، إذ تقسّمَ
شيبَةُ بنُ عثمانَ بنِ أبي طلحةٍ منتهزاً هذه الفرصةَ لقتلِ النبي
ﷺ فقال: اليومَ أدركُ ثأري من محمدٍ، وكان أبوه قد قُتلَ يومَ
أحدٍ.

يقولُ شيبَةُ متحدثاً عما حدث معه يومئذٍ: فأدركتُ برسولِ
الله لأهْلَةً، فأقبلُ شيءٌ حتى تغشى فؤادي، فلم أطلقْ ذاكَ وعلمتُ
أنه ممنوعٌ مني.

(١) إن ديلٌ عليه اليوم: أي إن كانت الكرة عليه اليوم، فإن له العاقبةَ غداً، والعاقبةُ
المتقين.

ثبات المسلمين مع رسول الله ﷺ

أما المسلمون الذين عصمهم الله تعالى وثبت قلوبهم للدفاع عن رسول الله ﷺ فقد ثبتوا في أماكنهم يدافعون عن بنيتهم بكل ما أوتوا من صبر وشجاعة وعزيمة وثبات، معتقدين أن هذه الهزيمة ليس معناها القضاء على الإسلام وزوال دين الله من الأرض، فإن الله عز وجل مظهر دينه ونبيه على الدين كله كما وعد بذلك الله عز وجل بقوله: ^(١) ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾.

وهم الذين يتلون قول الحق تبارك وتعالى: ^(٢) ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ وهم الذين يعلمون أن الأمر بيد الله، وأن الإنسان لا يموت إلا بيوميه وساعته ^(٣) ﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾.

(١) الأيتان ٣٢-٣٣ من سورة التوبة. (٢) الآية ٤٤ من سورة آل عمران. (٣) الآية ٣٤ من سورة الأعراف.

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾
ومن يُرد ثواب الدنيا نُؤتيه منها ومن يُرد ثواب الآخرة نُؤتيه
منها وسنجزِي الشَّاكرين. وكُلِّين من نبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيُون كثيرٌ
فما وهَنُوا لما أَصابهم في سبيلِ الله وما ضَعُفُوا وما اسْتَكَانُوا
واللهُ يحبُّ الصَّابرين. وما كان قولهم إلا أن قالوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللهُ
يحبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿^(١) فمن كان يتلو هذه الآياتِ الكريمةَ صباحَ
مساءً مع فهمٍ وتكبيرٍ يُدْرِكُ تَمَاماً أن النصرَ بيدِ الله، لقولِهِ
تعالى: ﴿^(٢) وما النصرُ إلا من عندِ الله﴾.
ومن ثَمَّ يندفعُ كالبركانِ الهادرِ يقاتلُ في سبيلِ الله، نوداً
عن دينِهِ وعقيدَتِهِ، ودفاعاً عن رَسولِهِ ﷺ وعرضِهِ وأرضِيهِ
وشرفِهِ وكرامَتِهِ.

(١) الآيات ١٤٥-١٤٨ من سورة آل عمران. (٢) الآية ١٢٦ من سورة آل عمران.

نزول السكينة على الرسول والمؤمنين

هربَ معظمُ المسلمين من هولِ المفاجأةِ كما تقدمَ وبقيَ النبي ﷺ ثابتاً مكانه، صامداً في وجهِ المشركين يقاتلُهم، ويدفعُ عن نفسه بأسهم وعدوانهم وبقي ثابتاً معه ثمانون من أصحابه لم ينهزموا، وبقي النبي ﷺ على بغلته يدفعُهما نحو جموعِ المشركين، ويكفها بعضُ أصحابه عن المضي خوفاً عليهم من خطرِ المشركين وسيوفهم.

يقول عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه : كنتُ مع رسولِ الله ﷺ يومَ حنينٍ فولى الناسُ وبقيتُ معه في ثمانين رجلاً، فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبرَ، وهُم الذين أنزل اللهُ عليهم السكينةَ كما وردَ في الآيةِ الكريمةِ في قوله تعالى: (١) ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَنَكَحَ الذَّكَرَ الْأُنْثَى ﴾ صدق الله العظيم.

(١) الأيتان ٢٦-٢٧ من سورة التوبة.

هذا . . . ورسولُ الله ﷺ راكبٌ على بغلته، وعُمُه
العباسُ ﷺ أخذَ بزماميها يكفُّها عن المضي، ويمنعُها أن تتقدمَ
في نحرِ العدوِّ، والثمانون الذين ثبتوا معه منهم: أبو بكرٍ وعمو،
وعثمانُ، وعليُّ، وعمُّ العباسِ، وابْنُهُ الفضلُ بنُ العباسِ، وأبو
سفيانَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وربيعَةُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ
المطلبِ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وعتبةٌ ومعتبُ ابْنِ أبي لهبٍ، وأيمنُ
ابنُ أمِ أيمنَ ﷺ جميعاً وغيرُهم.

صور من بطولات الصحابة

١- شجاعة رسول الله ﷺ .

وقف النبي ﷺ يقاتل جموع المشركين وحوله نفر من أصحابه الذين ثبتوا معه ولم يفرّوا وأخذ يشجعهم على القتال، ويطمئنهم أنه على قيد الحياة ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأخذ يدعو ربّه عز وجل ويقول: اللهم نزل نصرتك.

يقول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كنا إذا حمي الوطيس، واحمرّت الحرق لئنّا برسول الله ﷺ فما كان أحد أقرب منه للعدو.

ويقول البراء بن عازب عليه السلام: كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به. يقصد رسول الله ﷺ.

وعن رجل من المشركين وكان قد شهد حنيناً، ثم أسلم، ثم سئل عن يوم حنين فقال: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم وأتبعناهم حتى انتهينا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء، فلما رأنا زجرنا زجرة وانتهرنا، فأخذ بكفه حصي وتراباً فرمى به

وقال: شأنت الوجوه، فلم تبقَ عينٌ إلا دخلها من ذلك، وما ملكتنا
أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا.

وروي أن رسول الله ﷺ وهو في أرض المعركة
راكبٌ ظهرَ بغلته فقام في الركابين، فرفع يديه يدعو ربَّه عز
وجل ويقول: اللهم! إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم
أن يظهروا علينا، ثم نادى أصحابه قائلاً: يا أصحاب البيعة يومَ
الحديبية، الله... الله، الكرة على نبيكم، وأخذ يحرضهم على
القتال ويقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخرج، يا
أصحاب سورة البقرة، وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال:
إني لمع رسول الله ﷺ أخذ بحكمة بغلته البيضاء، قال: وكنتُ
امراً جسيماً شديد الصوت، قال: ورسول الله ﷺ يقول حين
رأى ما رأى من الناس أين أيها الناس؟ فلم أرَ الناس يلوون على
شيء، فقال: يا عباس، اصرخ بالناس يا معشر الأنصار، يا
معشر أصحاب السمرة^(١)، فأجابوا: لبيك... لبيك. فجعل
الرجل يثني بعيره ليستوقفه فلا يقدر عليه، فيأخذ درعه فيقذفها
في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقفح عن بعيره، ويخلي سبيله،

(١) هي الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان.

ثم يوم^(١) الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ .

وهكذا كانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ رجلاً بعد رجل حتى اجتمع إليه نحو من مائة رجل فاستقبلوا العدو وتصنّوا له، ودارت الدائرة بينهم قوية حامية، والنبي ﷺ ينظرون إليهم وهم يتجالدون فقال: الآن حمى الوطيس، وما هي إلا لحظات حتى تغيّر وجه المعركة، ودارت الدائرة على المشركين، وتحولت لصالح المسلمين، فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مقيدتين بالسلام والحديد بين يدي رسول الله ﷺ.

٢- شجاعة علي بن أبي طالب ﷺ.

وفي أرض المعركة رأى علي ﷺ فارساً من هوازن وكان صاحب رأيهم وكان يركب جملاً ويصنع ما يصنع بالمسلمين، فتصدى له علي ﷺ ومعه رجل من الأنصار، فضرب علي ﷺ رجل الجمل فوق علي الأرض، فانقض عليه الأنصاري فأجهز عليه، فقويت معنويات المسلمين، وارتفعت روحهم القتالية وانطلقوا نحو المشركين يقاتلونهم بكل شجاعة

(١) يوم: يقصد.

واستبسال حتى فتح الله عليهم ونصرهم نصراً مؤزراً.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى ملتفين عند رسول الله ﷺ، وقتل علي رضي الله عنه يوم حنين أربعين رجلاً بيده.

٣- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وقد صبر أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه يومئذ صبراً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، وثبت يدافع عن رسول الله ﷺ وقد أمسك بمؤخرة سرج بغلة النبي ﷺ الذي فوجيء به وقال: من هذا ؟... فقال: أنا ابن أمك يا رسول الله. ^(١)

وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: أبو سفيان بن الحارث سيد فتيان أهل الجنة. ^(٢)

٤- أم سلمة بنت ملحان رضي الله عنها.

وكانت أم سلمة رضي الله عنها تقاتل مع زوجها أبي طلحة ^(٣) وقد شئت وسطها ببريد لها وكانت حاملاً بولدها عبد الله

(١) هو في الحقيقة ابن عمه، لكنه أراد أن يتقرب إليه عن طريق الجنة التي تجمع بينهما في النسب.

(٢) رواه الحاكم وابن سعد في الطبقات.

(٣) واسمه زيد بن سهيل بن الأسود بن حرام.

ابن أبي طلحة، فأبصرهما رسول الله ﷺ وهي تقاثل، فقال لها:
أم سليم ...؟

قالت: نعم بأبي وأمي أنت يا رسول الله، اقتل هؤلاء
الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل.

قال رسول الله ﷺ: أويكفي الله يا أم سليم ...؟
وفي رواية: إن الله قد كفى وأحسن، وهذا يفيد أن فرار
بعض المسلمين يومئذ لم يكن من الكبائر.

٥- أبو قتادة الأنصاري ؓ.

وكذلك قاتل أبو قتادة الأنصاري ؓ يومئذ قتالاً شديداً،
وأبلى بلاءً حسناً، وأنصغ إليه وهو يحدث عما جرى معه
يومئذ:

يقول أبو قتادة: رأيت يوم حنين رجلين يقتلان: مسلماً
ومشركاً، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبته
المشرك على المسلم، فأتيتها فضربت يده فقطعتها، واعتقني بيده
الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الموت، وكاد

يَقْتُلْنِي، فَلَوْلَا أَنْ الدَّمُ نَزَفَ لِقَاتِلِي، فَسَقَطَ، فَضَرِبَتْهُ فَفَتَاتُهُ،
وَأَجْهَضْنِي^(١) عَنْهُ الْقِتَالُ، وَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَلَبَهُ.

فَلَمَّا وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَفَرَّغْنَا مِنَ الْقَوْمِ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ.

قَعَلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلًا ذَا سَلَبٍ،

فَأَجْهَضْنِي عَنْهُ الْقِتَالُ، فَمَا أَدْرِي مِنْ اسْتَلَبَهُ ؟...

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلَبُ
ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلَبِهِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: لَا وَاللَّهِ، لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ،

تَعَمِدْ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَقَاسُمُهُ سَلَبُهُ ...!!
ارْجُدْ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ.

فَأَيَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: صَدَقَ،
ارْجُدْ عَلَيْهِ سَلَبَهُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ وَحْدَهُ عَشْرِينَ رَجُلًا.

(١) أَجْهَضْنِي عَنْهُ الْقِتَالُ: شَتْنِي عَنْهُ وَضَيَّقَ عَلَيَّ

تأييد الله تعالى المؤمنين بالملائكة

لقد أيدَّ الله تعالى رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين بالملائكة ينصرونهم، ويكثرون عددهم، ويقاتلون معهم، ويوقعون الخوف والرعب في قلوب أعدائهم، قال الله تعالى: (١) ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بَأْتُهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقال الله تعالى: (٢) ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّمٌ بِالْفِئَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْفِقِينَ. وَمَا جَعَلَهُ إِلَّا بَشْرًا وَلِتُطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وآيات أخرى كثيرة مبنوثة في ثنايا صفحات كتاب الله تبارك وتعالى.

وفي السنة النبوية ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: حَكَّنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ: لَمَّا التَقَيْنَا مَعَ أَصْحَابِ

(١) الآيات ١٢-١٣ من سورة الأنفال

(٢) الآيات ٩-١٠ من سورة الأنفال

رسول الله ﷺ لم يبقوا لنا حلب شاء، حتى انتهينا إلى صاحب
البغلة الشهباء - يعني رسول الله ﷺ - تلقانا رجال بيض
الوجوه حسن، فقالوا لنا: شاهدت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا،
وركبوا أكتافنا فكانت إياها، يعني الملائكة. (١)

وقد تقدم أن النبي ﷺ هو الذي قال يومئذ: شاهدت
الوجوه، وزجر المشركين، فأوقع الخوف في قلوبهم، ولا
تعارض بين الروایتين فإنه يحتمل أن يكون النبي ﷺ قالها،
وكذلك الملائكة قالتها يومئذ.

وروي أن رجلاً من بني نصر قال للمؤمنين بعد القتال:
أين الخيل البلق، والرجال الذين كانوا عليها بيض...؟ ما كنا
فيهم إلا كهينة الشامة، وما كان قتلنا إلا بأيديهم.

فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: تلك الملائكة.
دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (٢) «ثم أنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها»
وهم من الملائكة.

(١) تفسير القرطبي. (٢) الآية: ٢٦ من سورة التوبة.

أي أنزل الله تعالى على المؤمنين ما يمكن قلوبهم،
ويذهب خوفهم، ويهدئ أعصابهم، حتى استردوا قوتهم،
واستعادوا نشاطهم وانطلقوا لقتال عدوهم بعد أن ولّوا فراراً.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: لقد رأيت قبل هزيمة
القوم والناس يقتلون مثل البجاد^(١) الأسود، أقبل من السماء حتى
سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبعوث^(٢) قد ملأ
الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

وكانت امرأة من المسلمين تنظر إلى ذلك المشهد الرائع
مشهد بطولات المسلمين ونصرهم، وهزيمة المشركين
وخذلاتهم، فقالت مفتخرة:

غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ الْكَلْبِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

ثم هرب المشركون وتفرقوا في الأرض، فمنهم من
ذهب إلى الطائف ومعهم زعيمهم مالك بن عوف، وعسكروا
بأوطاس.

ومنهم من ذهب إلى نخلة فعسكروا فيها، وتبعتهم خيل
رسول الله ﷺ تحمل جند الله ورسوله فقتلوا منهم مقتلة

(١) البجاد: الكساء. (٢) مبعوث: مفترق، يريد أنه رأى يزل من السماء.

عظيمة، وأنزل الله عز وجل نصره المبين على عباده المؤمنين
بعد أن أذاقهم مرارة الهزيمة لما قاله بعضهم حين رأى كثرة
عددهم: لن تغلب اليوم من قلة.
ولقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم
الأحزاب وحده،

مصدق ذلك قول الله تبارك وتعالى: (١) ﴿ ولقد سبقنا
كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم
الغالبون ﴾ صدق الله العظيم

(١) الآيات ١٧١-١٧٣ من سورة الصافات.

المسلمون يطاردون هوازن

١- الزبير بن العوام رضي الله عنه.

لما دارت الدائرة على المشركين وهروا هاربين أمام المسلمين، وقف مالك بن عوف النصراني وأصحابه يرقبون الطريق، فرأوا خيلاً مقبلة عليهم، فقال مالك بن عوف لأصحابه: ماذا ترون...؟

قالوا: نرى قوماً واضعين رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادهم.

هؤلاء بلو سليم، ولا بأس عليكم منهم.

ثم أقبلت خيل أخرى تتبئسها، فقال لأصحابه: ماذا

ترون...؟

قالوا: نرى قوماً عارضين^(١) رماحهم ألقفاً على خيلهم.

فقال: هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم.

ثم طلع فارس، فقال لأصحابه: ماذا ترون...؟

قالوا: نرى فارساً طويل البلاد^(٢) واضعاً رمحه على

عاتقه^(٣)، حاصباً رأسه بملاحة حمراء.

(١) عارضين: يحملون رماحهم بالعرض، والأغفل: جمع غفل، وهو الذي لا علامة له. (٢) بلاد:

باطن الفخذ. (٣) العاتق: ما بين المنكب والعنق، والملاحة: اللوحة صغيرة كانت أو كبيرة.

فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللات ليخاطبكم فاتبتوا له.

فلما دنا منهم شَهِرَ سَيْفَهُ وَاَنْقَضَ عَلَيْهِمْ، فلم يزل يطاعنهم حتى هربوا أمامه.

٢- أبو عامر الأشعري رضي الله عنه.

لما هربت هوازن أمام المسلمين بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري يتبع من هرب من المشركين إلى أوطاس، فأدرك بعضهم وفيهم عشرة إخوة، فناوشوه القتال، فحمل عليه أحدهم، فتصدى له أبو عامر ودعاه إلى الإسلام، فرفض المشرك، فقال أبو عامر: اللهم اشهد عليه، ثم حمل عليه فقتله أبو عامر، ثم أخذوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، وأبو عامر يحمل عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، وهم يرفضون دعوته حتى قتل تسعة منهم، وبقي العاشر الذي حمل على أبي عامر، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام، فأبى ذلك، فقال أبو عامر: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي، فكف عنه أبو عامر فأقبلت الرجل، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر.

ثم رمى أبا عامر رجلان من بني جُثَمَ وهما العلاءُ وأوفى ابنا الحارثِ قَتْلًا، فوقع أبو عامرٍ عليه السلام شهيداً، فحمل عليهما أبو موسى الأشعري عليه السلام قَتْلَهُمَا، وكان ابن عم أبي عامر، وتولى القيادة من بعده.

٣- خالد بن الوليد عليه السلام .

وكان رسولُ الله ﷺ قد نهى عن قتلِ النساءِ والضعفاءِ والأطفالِ وكان خالدُ بنُ الوليدِ عليه السلام يلاحقُ الفارين من هوازنَ ولا يدعُ أحداً رآه إلا قَتَلَهُ، فمرَّ رسولُ الله ﷺ بموضعٍ قاتل فيه خالدٌ، فرأى امرأةً قد قَتَلَهَا خالدٌ فقال مستكراً: ما هذا...؟
قالوا: امرأةٌ قَتَلَهَا خالدُ بنُ الوليدِ.

فقال ﷺ لبعض أصحابه: أدركْ خالداً فقتلْ له: إن رسولَ الله ينهاك أن تقتلَ وليداً أو امرأةً أو عسيفاً.^(١)

(١) السيف: الأجير.

مَقْتُلُ دَرِيدِ بْنِ الصَّمَةِ

هرب المشركون من أرضِ المعركة، وتفرقوا في الأرضِ فمنهم مَنْ بلغ الطائفَ ومعهم زعيمُهم مالكُ بْنُ عوفٍ، وعسكر بعضهم بأوطاسٍ، وتوجه بعضهم إلى نخلة، والمسلمون في أثرِهِم يتبعونهم في كلِّ جهةٍ، وكان دريدُ بْنُ الصَّمَةِ في شِجَارٍ له^(١)، وقد اعتزل القومَ فلم يقاتل، فمرَّ به ربيعةُ بْنُ رَفِيعٍ ابنِ أهْيَانٍ، فأخذ بخطامِ جملِهِ وهو يظنُّ أنه امرأةٌ فلما دنا منه، رأى شيخاً كبيراً، وربيعةٌ لا يعرفه، فقال له دريدُ: ماذا تريدُ بي...؟

قال: أَقْتُلُكَ.

قال: وَمَنْ أَنْتَ...؟

قال: أَنَا ربيعةُ بْنُ رَفِيعِ السَّلَمِيِّ، فضربه بالسيفِ فلم يُغْنِ شيئاً.

فقال له دريدُ: بِئْسَمَا سَلَحْتُكَ أُمَّكَ...! خذ سيفي هذه من مؤخرةِ الرجل، ثم اضرب به، وارفع عنِ العظام، واخفِضْ عنِ الدماغ، فَإِنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ أَضْرِبُ الرِّجَالَ، ثُمَّ إِذَا أَتَيْتَ أُمَّكَ

(١) الشجار: شبه اليهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

فأخبرها أنك قتلتَ دريدَ بنَ الصِّمَّةِ، فَرُبَّ - والله - يَومٍ قد
منعتُ فيه نساءكَ. ^(١)

ثم قتلَه ربيعةً، فلما رجع إلى أمِه أخبرها أَنه قتلَ دُرَيْدًا،
فَقَالَتْ لَهُ: أما والله لقد أعتقَ أمهاتُ لك ثلاثًا.

فلما بلغَ عَمْرَةَ بنتَ دريدَ مَقْتُلَ أبيها حَزَنَتْ عليه، ورثتهُ
بالأبياتِ التاليةِ التي نَكَرَتْ فيها مكانتَهُ في قومِه وآثارَه الحميدةَ
في بعضِ القبائلِ العربيةِ فَقَالَتْ:

لعمرك ما خشيتُ على دريدٍ	ببطنِ سُمَيْرَةَ جيشَ العنّاقِ ^(٢)
جزى عنه الإلهُ بني سَلِيمٍ	وعَقَّتْهم بما فعلوا عَنّاقِ ^(٣)
وأستأنا إذا قُذِنَا إليهم	دماءَ خيارِهِم عندَ التلاقِ
فربُّ عَظِيمَةٍ دافَعَتْ عنهم	وقد بَلَّغَتْ نفوسُهُمُ التراقِ
ورب كريمةٍ أَعْتَقَتْ منهم	وأخرى قد فَكَّكَتْ من الوثاقِ
ورب مُنَوِّهٍ بك من سَلِيمٍ	أجبتُ وقد دَعَاكَ بلا رماقِ ^(٤)
فكان جزاؤنا منهم عقوقاً	وهماً ماعٍ منه مَخُ ساقِ ^(٥)
عَفَّتْ آثارُ خيلِكَ بعدَ أينِ	بذي بقرٍ إلى قُوفِ النِّهَاقِ ^(٦)

(١) منعت: حميت. (٢) سُمَيْرَةُ: وادٌ قرب حنين وفيه قتلَ دريدَ بنَ الصِّمَّةِ والعلق: الخيبة والداهية.

(٣) العنّاق: هي العقوق. (٤) المنوّه: الذي يناديك بأشهر أَسْماءِكَ نداءً ظاهراً، والرمّاق: بقية الحياة.

(٥) ماعٍ: ذَلَب. (٦) عَفَّتْ: دَرَسَتْ وتَغَيَّرَتْ، وذو بقر: موضع، والقيوف: القفر، والنهّاق: موضع.

وقالت أيضاً في رثاء أبيها:

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدقوا فظلُّ معي على السريالِ ينحدرُ^(١)
لولا الذي قهرَ الأقوامَ كلَّهُمُ رأتُ سُلَيْمَ وكعبَ كيف تَأْتَمِرُ
إننِ فصبحهم غياً وظاهرةً حيثُ استقرَّتْ نواهم جحفلُ نَفَرِ^(٢)

(١) السريال: القميص. (٢) الغب: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً، والظاهرة: أن ترده كل يوم، والجحفل: الجيش الكثير. والنفر: كربه الرائحة من صدأ السلاح.

الشيءاء أختُ الرسول ﷺ

لما أغارت خيلُ رسولِ الله ﷺ على بني سعدِ بنِ بكرٍ قال لأصحابه: إن قدرتم على بجادٍ فلا يفلتكم. وكان بجادٌ هذا قد آذى المسلمين، فلما ظفروا به أخذوه وأهله، وأخذوا معهم الشيءاءَ بنتَ الحارثِ، وكانت أختُ الرسول ﷺ من الرضاعة، وزوجَ بجادِ المذكورِ، فلما قبضوا عليها إذاها بعضهم، فنهتهم عن ذلك وحذرتهم من إيذاها أو الإساءة إليها وقالت لهم: تعلّموا واللهِ إني لأختُ صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إني أختك من الرضاعة.

قال: وما علامة ذلك...؟

قالت: عضةٌ عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك.^(١)

فعرف رسولُ الله ﷺ تلك العلامة، فرحّبَ بها، وأحسنَ معاملتها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وخيّرَها بين أن تبقى معه وبين أن ترجعَ إلى قومها مكرّمةً، فقال لها: إن أحببت فعندي مُحبةٌ مكرّمةٌ، وإن أحببت أن أمنعك وترجعِي إلى قومك

(١) متوركتك: حاملتك على وركي.

فعلتُ ذلك.

فَقَالَتْ: بل تَمَتُّعَنِي وتردُّني إلى قومي.

فأَحْسَنَ إليها، وأَغْنَقَ عليها العطايا، وأكثرَ لها الهدايا
ورَدَّها إلى قومها معزَّزةً مكرَّمةً.

الرسول ﷺ يطاردُ مالكَ بنَ عوف

تقدم معنا أن المشركين هربوا من أرضِ المعركة وتفرقوا في الارض، فمنهم مَنْ بلغ الطائفَ، ومنهم مَنْ عسكر بأوطاس، ومنهم مَنْ توجهَ إلى نخلة، وأخذ المسلمون يطاردونهم في كلِّ جهة.

أما الذين هربوا إلى الطائف فقد كان معهم زعيمهم مالكُ ابنُ عوف، فتولى النبي ﷺ بنفسه ملاحقتهم للقضاءِ عليهم وعلى زعيمهم مالكِ بنِ عوف، أو الدخول في الإسلام، ومالكُ ابنُ عوف هو الذي قام بجمع هوازن والأعراب لقتال النبي ﷺ، فلما دارت الدائرةُ عليه، وخذله الله أخذ أصحابه واشتدَّ هارباً إلى الطائف لأن عدداً كبيراً من أهلها كان يقاتلُ معه، فلما بلغوا الطائف دخلوها وأغلَقوا عليهم أبوابها، وجمعوا قواتهم واستعدوا للقتال.

أما النبي ﷺ فقد جمع أصحابه المنتصرين، وأمرهم بالاستعداد والتوجه إلى الطائف لملاحقة قُلٍّ^(١) المشركين، فقال كعبُ بنُ مالك ﷺ عنه مفتخراً:

(١) القُلُّ: الجماعة المنهزمون من الجيش.

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرَ ثَمٍّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا^(١)
 نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دُوساً أَوْ ثَقِيفاً^(٢)
 فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرُدَّهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أَلُوفَا^(٣)
 وَنَنْتَرِزُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ وَتَصْبِحُ دُورُكُمْ مِنَّا خُلُوفَا^(٤)
 وَيَأْتِيَكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يَفَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفاً^(٥)
 إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ لَهَا مِمَّا أَتَاخَ بِهَا رَجِيفَا^(٦)
 بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مَرْهَفَاتٍ يَزِرْنَ الْمِصْطَلِينَ بِهَا الْحَتُوفَا^(٧)
 كَأَمْثَالِ الْعَقَاقِي أَخَصَصْتُهَا قِيُونَ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفَا^(٨)
 نَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحَفِ جَادِيّاً مَدُوفَا^(٩)

-
- (١) تِهامة: ما انخفض من أرض الحجاز، والريب: الشك، وأجممنا السيوف: أرحناها.
 (٢) نخيرها: نعطئها الخير، ولو نطقت لاختارت أن تحارب دوساً أو ثقيفاً.
 (٣) الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها، وساحة الدار: فناءها.
 (٤) العروش: سقوف البيوت، وج: موضع بالطائف، وخلوف: دور يخيب عنها أهلها.
 (٥) المرعان: المتقنمون، والكثيف: الملفف.
 (٦) رجيفا: مأخوذ من الرجفة، ويعني به الصوت الشديد مع اضطراب.
 (٧) القواضب: جمع قاضب، وهي السيوف القواطع، والمرهفات: القاطعة، والمصطلون: المباشرون لها من أعدائهم، والحتوف: جمع حقف، وهو الموت.
 (٨) العقاقى: جمع عقيق، والمراد بها شعاع البرق، وكثيف: جمع كثيفة وهي صفائح الحديد، وأصل الكثيف: الضيق من كل شيء.
 (٩) الجديّة: الطريقة من الدم، والزحف: النقاء الجيشتين، والجادي: الزعران. ومدوف: اسم مفعول من دافه يدوفه، ومعناه مخلوط بخيره.

أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بِهِ عَرِيفًا^(١)
يَخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجَبَ الطُّرُوفَا^(٢)
وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يَحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صَفُوفَا^(٣)
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبًا نَقَى الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا^(٤)
رَشِيدٌ الْأَمْرِ ذُو حَكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ تَرْقًا خَفِيفًا^(٥)
نَطِيعٌ نَبِيْنَا وَنَطِيعُ رَبِّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رُؤُوفَا
فَإِنْ تَلَقَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا^(٦)
وَإِنْ تَأْبَؤْا نَجَاهَكُمْ وَنَصِيرُ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعْنًا ضَعِيفَا^(٧)
نَجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تَنْبِيؤَا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا^(٨)

(١) أجدهم: أي أجدهم منهم، وعريفاً: عارفاً.

(٢) عِتَاق: جمع عتيق، وهي الكرام الأصول، سميت بذلك لأنها عتقت من العيوب. والنجيب: هي الفاقة للقوية النفيسة، أو الخيل القوية، والطروف: جمع طرف بكسر الطاء، وكلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل والنوق.

(٣) الزحف: الجيش. (٤) العزوف: الزاهد عن الشيء مع إعجابه به. (٥) النزق: الكثير الطيش والحمق.

(٦) العضد: الناصر والمعين، وتعاوض القوم: تعاونوا، وأصل العضد، مسابن المرفق والكف، والريف: المواضع المخصبة القريبة من المياه يريد إن تسلموا وتدخلوا في ديننا نتخذكم أعواناً لنا على الحرب، ونستمد من ريفكم العيش.

(٧) رَعْنًا: مثقلًا غير ثابت.

(٨) نجالد: نحارب بالسيف، إذ المجالدة: المحاربة. والإذعان: الخضوع والانقياد، ومضيفاً: ملحقاً.

نجاهدُ لا نبالي مَنْ لقينا	أأهلكنا التلادَ أمِ الطريفا ^(١)
وكم من معشرٍ ألبوا علينا	صميمَ الجذمِ منهم والظيفا ^(٢)
أتونا لا يرون لهم كفاءَ	فجدعنا المسامعَ والأكؤفا ^(٣)
بكلٍ مهنديٍّ لوينٍ صقيليٍّ	يسوقهم بها سَوْقاً عنيفاً ^(٤)
لأمرِ اللهِ والإسلامِ حتى	يقومَ الدينُ معتدلاً حنيفاً
وتنسى اللاتُ والعزى وودُّ	ونسلبها القلادَ والشنؤفا ^(٥)
فأمسوا قد أقرّوا واطمأنّوا	ومن لا يمتنعُ يُقتلُ خسوفاً ^(٦)

(١) التلادُ: المال القديم، والطريف: المال المستحدث.

(٢) ألبوا علينا: جمعوا علينا، والصميم: الخالص، والجذم: الأصل.

(٣) جدعنا: قطعنا، وأكثر استعمال لفظ الجدع في قطع الأكوف.

(٤) العنيف: الشديد الذي ليس فيه رفق.

(٥) للشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذي يكون في أعلى الأذن.

(٦) الخسوف: الذل.

المسلمون يحاصرون الطائف

ومضى رسول الله ﷺ يقود أصحابه إلى الطائف، فلما بلغها أمرهم أن يضربوا خيامهم، ويعسكروا قريباً من أسوارها، وكان فرسان ثقيف عبيدين أشداء فأبوا أن يفتحوا أبواب مدينتهم للمسلمين، وجعلوا يرمونهم بالسهام فقتلوا عدداً منهم، وحاول المسلمون أن يتحتموا أسوار الطائف، فلم يقدروا، فلما كثر فيهم القتل، ورأى النبي ﷺ منعة ثقيف وعنادهم، وكثرة ما أصيب من أصحابه تراجع عن أسوار الطائف، وضرب عليها حصاراً محكماً دام بضعاً وعشرين ليلةً كان الفريقان خلالها يتبادلان التراشق بالنبل، وقد استعمل المسلمون المنجنيق رموا به أهل الطائف، حتى لقد روي أن رسول الله ﷺ هو أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق؛ رمى أهل الطائف.

يوم الشدخة

وسُمِّيَ بذلك لشدّة القتال الذي دار بين المسلمين وتقيفِ
بعمد الحديد أو الخشب، ولقساوة ذلك اليوم، وصمود الفريقين
كلّ في وجه صاحبه.

فتحت جدار الطائف كانت المعركة الكبرى في يوم
يُسَمّونه (يوم الشدخة) وذلك بعد أن طال حصار المسلمين
للطائف، وأبى أهلها الاستسلام أو الانقياد لشروط النبي ﷺ.

وقد ثبت المسلمون يومئذ ثباتاً مشرفاً، وأبلوا بلاءً حسناً،
وقاموا بهجوم بطولي مشرف، حيث دخل نفرٌ منهم تحت عربةٍ
مملوءة ناراً وزحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ويتمكنوا من
اقتحام المدينة، ولكن أهل الطائف كانوا قوماً أشداء، فقد صمدوا
في وجه المسلمين صموداً رائعاً للدفاع عن مدينتهم، وأخذوا
يرمونهم بقطع الحديد المحمّاة بالنار، الأمر الذي جعل المسلمين
ينسحبون من حول الجدار، ويخرجون من تحت العربة، ورجالُ
تقيف يرمونهم بوابلٍ غزيرٍ من النبال فقتلوا منهم رجالاً، فلما
رأى النبي ﷺ ثبات رجال تقيف وعنادهم أمر بقطع أشجار
العنب والنخيل لعل تقيفاً تثوب إلى رشدها، وتعلن إسلامها.

وخلال فترة الحصار كان النبي ﷺ يبعث إلى تقيف
رسلة للمفاوضة، منهم:

أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة فلم يصلوا إلى
شيء، فقال لهما ابن الأسود بن مسعود: ألا أتلكما على خير مما
جئتما له...؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما،
وإنه ليس بالطائف مال أبعد رثاء، ولا أشد مؤنة، ولا أبعد
عمارة من مال بني الأسود، وإن محمداً إن قطعته لم يغمز أبداً،
فكلماه فليأخذ لنفسه، أو ليدعه لله والرحم، فإن بيننا وبينه من
القربة ما لا يجهل.

فروى أن رسول الله ﷺ تركه لهم، وتابع حصاره
المحكم على الطائف.

رؤيا رسول الله ﷺ

وفي مدة الحصار رأى رسول الله ﷺ رؤيا قصتها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، إني رأيت أني أهديت لي قبة^(١) مملوءة زبداً، فنقرها ديك، فهراق ما فيها.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تترك منهم يوماً هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

نعم، فلقد كان أهل الطائف قوماً أشداءً أولي بأسٍ شديد، لا يستسلمون بسهولة، ولا يكفون عن القتال، ولا يملونه، فضلاً عن ذلك كانوا ذوي دهاء ومكر، لذلك قال فيهم عيينة بن حصين الغزاوي: إنهم مجدة كرام، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول الله ﷺ...! فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قوم مناكير^(٢).

ولعل ثقيفاً هم الذين عناهم الله تعالى بقوله:

(١) القبة: اللدج. (٢) مناكير: ذوو مكر وغلظة ودهاء.

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي
بَأْسٍ شَدِيدٍ تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤَيِّكُمُ اللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١).

قال سعيدُ بنُ جبْرِ: هم هوازن وتقيف.

وقال عكرمة: هوازن.

وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين.

وقال الزهري ومقاتل: هم بنو حنيفة أهل الإمامة
أصحابُ مسيلمة (٢).

وقيل غيرُ ذلك، وبالتأمل في هذه الأقوال نرى أنها تنكح
هوازن، وتقيفاً وهما القيلتان اللتان وقفنا في وجه المسلمين يوم
الطائف ولعلهما المرادتان في الآية الكريمة. والله أعلم.

(١) الآية: ١٦ من سورة الفتح. (٢) تفسير القرطبي.

إسلامٌ ثَقِيفٌ

حين رأت ثَقِيفٌ أن حصارَ رسولِ الله ﷺ قد طالَ، وأنه لن يَفُكَّهُ عنهم، ولن يَغادرَهم حتَّى يذعنوا لأمرِهِ، ويفتَحوا له الطائفَ أو يسلَموا، اجتمع عقلاؤُهم فمُشاوَرُوا بالأمرِ ثم اتفقوا أن يسلَموا وذلكَ خيرٌ لهم، وانفضوا وهم مُجمِعون على ذلك.

فكانوا يأتون النبيَّ ﷺ جماعاتٍ يقدمون إليه الولاءَ والطاعةَ، ويبايعونه على الإسلامِ بعد أن رأوا أن لا خيارَ لهم إلا الدخولُ في الإسلامِ، ووضعُ أيديهم في يدِ النبيِّ ﷺ مبايعينَ مناصرينَ.

فكان منهم بعضُ العبيدِ جاعوه مسلمينَ فقبَلَهُم وأعتَقَهُم، فجعل بعضُ الناسِ يقولون فيهم كلاماً سيئاً، فلما بلغ ذلكَ النبيَّ ﷺ قال: لا، أولئك عتقاءُ الله.

(إسلام هوازن)

بعد إسلام أهل الطائف ومبايعة النبي ﷺ، غادر النبي ﷺ الطائف ومضى أصحابه يقودون السبايا والأسارى من هوازن، وكان قد قال له رجل من أصحابه يوم غادر الطائف: يا رسول الله، ادعُ عليهم.

فقال النبي ﷺ: اللهم اهدِ تقيفًا، وأتِ بهم. فلم يَمْضِ سوى وقتٍ قصيرٍ حتى قِيمَ عليه وفدُ هوازن، وهو في مقامِهِ لم يَغادرَهُ، وكان بلغ الجعرانة، فقالوا: يا رسولَ الله، إنا أهلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامننْ علينا منَ الله عليك... ؟

ثم قام رجلٌ منهم يُكنى أبا صُرْد فقال: يا رسولَ الله، إنما في الحظائرِ عَمَاتُكَ وخَالَاتُكَ وحَوَاضَتُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلُنَّكَ، ولو أنا مَلَكُنَا^(١) للحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ، أو للنَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، ثم

(١) ملحظًا: أرضعنا.

نزل مِنَّا بِمَثَلِ الَّذِي نَزَلَتْ بِهِ رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ^(١) عَلَيْنَا،
وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْنَاؤُكُمْ وَنَسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ
أَمْوَالُكُمْ...؟

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيْرَتُنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بَلْ
تَرُدُّ إِلَيْنَا نَسَاعِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا.

فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ،
وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَغْفِرُ
بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا
وَنَسَائِنَا، فَسَاعَطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ.

فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِمَا
قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ

(١) عائنته: إحصائه وفضله.

المطلب فهو لكم.

فقام المهاجرون فقالوا: وما كان لنا فهو لرسول الله

ﷺ.

وكذلك قالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله

ﷺ.

فقام الأقرع بن حابس فقال: أما أنا وبنو تميم فلا.

وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا.

وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فعارضه

رجال بني سليم وقالوا: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فقال لهم عباس بن مرداس: وهتتموني^(١).

فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا

السبي فله بكل إيمان ست فرائض من أول سبي أصيبه.

(١) وهتتموني: أضطمتوني.

فَتَحَمَّسَ الْقَوْمُ جَمِيعاً وَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ أبنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ،
وَتِلْكَ سِيَاسَةٌ فِي غَايَةِ الْكِيَاسَةِ وَالْمُرُونَةِ وَاللِّبَاقَةِ جَعَلَتْ النَّبِيَّ
ﷺ يَحْظَى بِمَحَبَّةِ جَمِيعِ النَّاسِ وَتَقَرَّبَهُمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَرَدَّ إِلَى
هَوَازِنِ أبنَاءِهِمْ وَنِسَاءِهِمْ مِنَ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِهِمْ عَنْ رِضَى
وَقَنَاعَةٍ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام
جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا رِبْطَةُ بِنْتِ هَلَالٍ.

وَأُعْطِيَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ
حَيَانَ.

وَأُعْطِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عليه السلام جَارِيَةً، فَوَهَبَهَا عُمَرُ
لَوْلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، الَّذِي بَعَثَ بِهَا إِلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ
رَيْثَمَا يَعُودُ مِنْ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ.

يَقُولُ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَصِيبَهَا إِذَا رَجَعْتُ إِلَيْهَا،
قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ حِينَ فَرَعْتُ، فَإِذَا النَّاسُ يُشْتَكُونَ،
فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكُمْ...؟

قالوا: ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبنائنا.
فقلت: تلكم صاحببتكم في بني جُمَح، فاذهبوا فخذوها.

وما كان هذا التصرف إلا من ثمرات حب الله ورسوله
وطاعة الله ورسوله، فقد كانت طاعة الله والرسول عند جميع
أصحاب رسول الله ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم
وأموالهم والناس أجمعين.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿ثَلَاثُ
مَنْ كُنْ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاةَ الْإِيمَانِ:

مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ
الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ
اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْنَفَ فِي النَّارِ﴾ (١) وتلكم الخصال الثلاث
لا تجتمع إلا فيمن قوي بالإيمان يقينته، واطمأنت به نفسه،
وانشرح له صدره، وخالط لحمه، وذلك هو الذي وجد حلاوة

(١) صحيح مسلم.

الإيمان، فلقد كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ يحملون هذه الصفات الحميدة، ويتصفون بها، لذلك سارعوا إلى تنفيذ رغبته وتسابقوا إلى رد أموال موازن ونسائهم وأبنائهم لعلهم بذلك يرضون الله ورسوله، ويتقربون به منهما.

إسلامُ مالكِ بنِ عوفٍ

أسلمتُ هوازنُ، وفاز رجالُها ونساؤها بصحبةِ النبي ﷺ الذي سألهُم عن مالكِ بنِ عوفِ النصرى فقالوا له: هو بالطائفِ مع تقيفٍ، فأراد النبي ﷺ أن يُعطيهَ فرصةً للدخولِ في الإسلامِ، فإنه إذا ما أسلم، أسلمتُ تقيفٌ وهوازنُ جميعاً، وقديماً قالوا: الناسُ على دينِ ملوكِهِم.

فقال لهم النبي ﷺ: أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رَدَدْتُ عليه أهلهَ ومالهَ، وأعطيتُهُ مئةَ من الإبلِ، فنقل بعضهم قولَ النبي ﷺ إلى مالكِ بنِ عوفٍ الذي استعدَّ للرحيلِ، وتحت جناحِ الليلِ انسلَّ خفيةً خشيةً أن يعلمَ زعماءُ تقيفٍ بخروجهِ فيحبسوه ويمنعوه من الخروجِ.

ثم مضى مالكُ بنُ عوفٍ حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو بالجعرانةِ، أو بمكةَ، فحيّا النبي ﷺ بتحيةِ الإسلامِ، ثم أسلمَ بين يديه، وفتحَ لنفسِهِ ولقومِهِ باباً من الأمنِ والسلامِ والسعادةِ الغامرةِ في الدنيا والآخرةِ.

فَبَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بوعديه وَرَدَّ إِلَى مَالِكِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ،
وَأَعْطَاهُ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، قَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ حِينَ أَسْلَمَ:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتَى تَشَأْ يَخِيرُكَ عَمَّا فِي غَدَا^(١)
وَإِذَا الْكَتَيْبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسَّمْعَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مِهْنَدٍ^(٢)
فَكَانَهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَالِدٌ فِي مَرْصَدٍ^(٣)

فَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمِيرًا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ،
وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْآخَرَى، فَكَانَ مَالِكٌ يِقَاتِلُ بِهِمْ تَقِيفًا حَتَّى
ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ النَّقْعِيُّ^(٤) فِي ذَلِكَ:

(١) الاستجداء: طلب من العطاء.

(٢) عردت الكتيبة: فرت وهربت، والسمرعي: الرمح الطويل، والمهند: السيف.

(٣) الليث: الأسد، والخادر: المستتر، والشبل: ولد الأسد، والهباءة: التراب الناعم الدقيق،
والشيء الذي يرى في ضوء الشمس.

(٤) واسمه مالك بن حبيب.

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا
وَأَتَانَا مَالُكَ بِهِمْ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا

ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلَمَةَ
نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحَرَمَةِ
وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نَقِمَةٍ

توزيع الغنائم

لما فرغ رسول الله ﷺ من ردّ سبايا هوازن إلى أهلها، ركب راحلته ليغادر مكانه، فاتّبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقم علينا فيتنا^(١) من الإبل والغنم...؟ حتى الجؤوه إلى شجرة، وأخذوا عنه رداءه، وهو صابر لا يتأفّف ولا يزعج أحداً، فقال: أدّوا عليّ ردائي أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمة^(٢) أقسمته عليكم، ثم ما ألقتُموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً.

ثم أخذ شعرة من بغير كان بجانبه، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها وقال: أيها الناس، والله مالي من فيكم ولا من هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم^(٣)، فأدّوا الخياط والمخيّط^(٤) فإن الغلول يكونُ على أهله عاراً وناراً وشناراً^(٥) يوم القيامة.

(١) القىء: الغلظة - (٢) النعم: البقر والإبل والغنم.

(٣) الخمس: سهم رسول الله ﷺ من الغنائم، وقد وهبها لهم ولم يدع لنفسه منها شيئاً.

(٤) الخياط: الخيط، والمخيّط: الإبرة.

(٥) العار والشنار: أُلْهِج العار يوم القيامة.

فجاء رجلٌ من الأنصارِ بكبةٍ من خيوطِ شعرٍ فقال: يا رسولَ الله، أخذتُ هذه الكبةَ أعملُ بها بردعةً بعيرٍ لي نَيرٌ^(١)

فقال له النبي ﷺ: أما نصيبي منها فلكَ، أما إذ بلغتُ هذا فلا حاجةَ لي بها، ثم طرحها من يده.

ودخل ابنُ عمه عَقيْلُ بنُ أبي طالبٍ ﷺ على امرأتهِ فاطمةَ بنتِ شيبَةَ بنِ ربيعةَ، وسيفهُ متلَطِّخٌ دماً، فقالت له: إنسي قد عرفتُ أنك قد قاتلتَ، فماذا أصبتَ من غنائمِ المشركين...؟

قال: دونك^(٢) هذه الإبرةُ تخيطين بها ثيابك.

ثم سمع منادي رسولَ الله ﷺ يقول: مَنْ أَخَذَ شَيْئاً فَلْيَرُدَّهُ حَتَّى الْخِيطَ وَالْمِخِيطَ.

ولم يكن عَقيْلٌ ﷺ يسمعُ هذا النداءَ حتى أصابتهُ الخشيةُ والرهبةُ وأحسَّ بقشعريرةٍ تسري في جسدهِ، فأخذ الإبرةَ من

(١) النَّيْرُ: جرح يكون في ظهر البعير. (٢) دونك: عليها.

إمرأته وقال لها: ما أرى إبرنك إلا قد ذهبتْ عنك ومضى بها
فألقاها في الغنائم، وإنه لنموذجٌ عظيم، ودرسٌ بالغُ الروعةِ في
الصدقِ والورعِ والأمانةِ والخشيةِ الحقيقيةِ من الله عز وجل،
ومراقبةِ النفسِ وتهذيبها في السرِّ والعلنِ، والاهتداءِ الحقِّ برسولِ
الله ﷺ .

إِعْطَاءُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْقَتْلَامِ

المؤلفة قلوبهم: رجال من أشرف الناس وزعماء القبائل، أسلموا حديثاً ولم يتمكن الإسلام في قلوبهم، وكأنه لم يثبت في نفوسهم فهم على شفا حفرة من الإسلام إن أصابهم خيرٌ اطمأنوا به، وثبتوا عليه، وإن أصابهم غير ذلك فربما انقلبوا عنه، ورجعوا إلى دين الشرك.

فكانوا يُعطون من أموال الصدقات والغنائم أسهماً أكثر من غيرهم ليثبتوا على الإسلام، وقد جعلهم الله عز وجل من الأصناف الثمانية الذين تحقق لهم الصدقات، قال الله تعالى: (١)

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لذلك كان النبي ﷺ يعطيهم من الصدقات والغنائم، ويكثر لهم في المعطاء ليتألفهم بذلك، ويتألف بهم قومهم، وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنة معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن كلفة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، ومالك بن عوف، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وكثيرون غيرهم.

(١) الآية ٦٠ من سورة التوبة

فقد أعطى النبي ﷺ كل واحدٍ منهم مئةً من الإبل،
وأعطى غيرهم لكل رجلٍ خمسين بعيراً، منهم: عباسُ بنُ
مرداسٍ الذي قال كلاماً يعاتبُ فيه النبي ﷺ ، يدلُّ على سخطه
وعدم رضاه عن تلك القسمةِ ضمنَ أبياتٍ من الشعرِ قال فيها:

كانت نهاباً تلاقيتها بكري على المهرِ في الأجرع^(١)
وإيقاظي القومَ أن يرقدوا إذا هجع الناسُ لم أجمع^(٢)
فأصبح نهبي ونهبُ العبيدِ بين عيينةَ والأقرع^(٣)
وقد كنتُ في الحربِ ذا تُترأً فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع^(٤)
إلا أقائلُ أعطيتها عديدَ قوائِمها الأربع^(٥)
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع^(٦)
وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ومنْ تضعُ اليومَ لا يرفعُ

(١) نهاباً: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم، يريد الماشية وسائر الغنائم، والأجرع:

المكان السهل. (٢) هجع: نام.

(٣) العبيد: اسم فرس الشاعر، وعيينة والأقرع: يعني بهما عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس.

(٤) ذا تُترأ: ذا دفعٍ عن قومي. (٥) الأقائل: الصغار من الإبل، والواحد أقيل.

(٦) مرداس: هو أبو الشاعر، وفي رواية: يفوقان شيخي يريد أياه أيضاً.

وقوله: (حصن ولا حابس) هما أبو عيينة والأقرع، يريد أن أبوي عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ليسا مثل أبيه مرداس في الشجاعة ومنازلة الفرسان.

فلما بلغ النبي ﷺ قوله قال لأصحابه: اذهبوا به،
فاقطعوا عني لسانه.
فأعطوه من الغنائم حتى رضي.

قال ابن هشام في السيرة: فكان ذلك قطع لسانه الذي
أمر به رسول الله ﷺ.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لعباس بن مرداس: أنت
القائل: فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة...؟
فقال أبو بكر رضي الله عنه: بين عيينة والأقرع.

فقال رسول الله ﷺ: هما واحد.
فقال أبو بكر رضي الله عنه: أشهد أنك كما قال الله: (١) وما
علمناه الشعر وما ينبغي له ﴿

(١) الآية ٦٩ من سورة يس.

ثم جاءه بعضهم فقال: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس مائة... مائة، وترك جعيل بن سراقه الضمري...

فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفس محمد بيده لجعيل ابن سراقه خير من طلاع^(١) الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس ولكني تألفتها لنسليما، ووكلت جعيل بن سراقه لإسلامه.

(١) طلاع الأرض: ما يملوها حتى يطلع عنها ويمسول.

اعترض رجلٌ من تميمٍ على تقسيم الغنائم

سئلَ عبدُ الله بنُ عمرو بنُ العاصِ رضي الله عنه وهو يطوفُ بالبيتِ عن الرجلِ التميمي الذي اعترض على قسمةِ رسولِ الله ﷺ يومَ حنينٍ فقيلَ له: هل حضرتَ رسولَ الله ﷺ حينَ كلمةِ التميمي يومَ حنينٍ...؟

قال: نعم، جاء رجلٌ من بني تميمٍ يقال له نو الخوِصِرَة، فوقفَ عليه وهو يعطي الناسَ، فقال: يا محمدُ، قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليومِ.
فقال رسولُ الله: أجل، فكيف رأيتَ...؟
فقال: لم أركَ عدلتَ.

قال ابنُ عمرو: فغضبَ النبي ﷺ، ثم قال: ويحك...! إذا لم يكنِ العدلُ عندي فعندَ مَنْ يكونُ...؟
فقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: يا رسولَ الله، ألا أقتله...؟

فقال: لا، دَعَةُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ^(١)
حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ.^(٢)

وهذا إيذاء لرسول الله ﷺ، وممنٌ لعدالتِهِ، وسوءُ أدبٍ
معه، ولذلك نهى الله عز وجل المؤمنين عن إيذاءِ رسولِهِ ﷺ
لأنها من صفاتِ اليهودِ قتلَةَ الأنبياء، الذين قال الله عز وجل
فيهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ
يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. أُولَئِكَ الَّذِينَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾^(٤).
لذلك قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ آتَوْا مُوسَى فَعَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ
وَجِيهًا ﴾^(٥)

(١) يتعمقون في الدين: يتتبعون قصاص. (٢) الرميّة: الشيء الذي يرمى به.

(٣) الآية ٦١ من سورة البقرة. (٤) الأيتان ٢١-٢٢ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ٦٩ من سورة الأحزاب.

وإِذَاوَهُ ﷺ يَتَمَلُّ بِقَوْلِ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي
 قَسَمِهِ الْغَنَائِمَ: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ. ^(١)
 وَنَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ
 مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: رَحِمَ
 اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ. ^(٢)

(١) سيرة ابن هشام. (٢) تفسير القرطبي.

موقف الأنصار

أعطى النبي ﷺ قريشاً و المولفة قلوبهم وبعض القبائل العربية وأغدى عليهم العطاء من غنائم هوازن، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، فحزنوا لذلك، ووجدوا^(١) في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، فقال بعضهم: لقد لقيَ الله رسول الله ﷺ قومة، وخافوا أن يتخلى عنهم حين رجَعَ إلى بلده مكة.

فدخل عليه سعد بن عبادَةَ فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيم الذي أصبتَ قسمتَ في قومك، وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.

فقال رسول الله ﷺ : فأين أنتَ من ذلك يا سعد...؟

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي.

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة.

(١) وجدوا في أنفسهم: حزنوا.

فخرج سعد رضي الله عنه ، فجمع الأنصار ، فأتاهم النبي ﷺ ،
 فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار ،
 ما قاله بلغتني عنكم ^(١) ...؟ وجدة ^(٢) وجنتموها علي في
 أنفسكم ...؟

ألم آتاكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء
 فألف الله بين قلوبكم ...؟

قالوا : بلى ، الله ورسوله آمن ^(٣) وأفضل .
 ثم قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ...؟
 قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ...؟ لله ولرسوله المن
 والفضل .

قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم فلصنّقتهم ، ولصنّقتهم :
 أتيتنا مكذباً فصنّقتك ، ومخزولاً فنصرناك ، وطريدأ فأويناك ،
 وعائلاً فأسيناك . ^(٤)

(١) لقالة : الكلام الرديء . - (٢) جدة : عتاب ، والمالة : جمع عائل ، وهو الفقير .

(٣) لمن : الفضل والنعمة . (٤) أسينك : جعلناك كولد منا .

أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لَعَاعَةٍ^(١) مِنْ
الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لَيْسَ لَكُمْ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ.
أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ،
وَيَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِجَالِكُمْ...؟

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ
الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا^(٢)، وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا،
لَسَلَكَ شِعْبُ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ،
وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ.

فَبَكَى الْقَوْمَ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ^(٣)، وَقَالُوا: رَضِينَا
بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحِظًا.

فَرَحَّمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَهَنِيئًا لَهُمْ
هَذِهِ الْقِسْمَةُ، وَهَذَا الْحِظُّ، وَهَذَا الْإِيمَانُ، وَهَذِهِ التَّقَى وَالْمَحَبَّةُ

(١) للماعية: نبتة خضراء ناعمة.

(٢) الشَّعْبُ: الطريق بين جبلين.

(٣) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ: بَلَّوْهُمَا بِالْمَوْعِ

والصحبة، لقد رضوا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، فرضيهم
أصحاباً وإخواناً وأحباباً وما أجمل قول النبي ﷺ: (١)
﴿ ذاق طعم الإيمان مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رِباً، وبالإسلام ديناً،
وبمحمد ﷺ نبياً ﴾.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في أجملها تجم
ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقصر
أحل أمة في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم

(١) صحيح مسلم.

قَوْلُ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ فِي تَوْزِيْعِ الْغَنَاقِمِ

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يعط الأتصار شيئاً، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

زانت هموم فماء العين منحيرٌ سخاً إذا حقلتْ عبرةً دبراً^(١)
 وجداً بشمَاءَ إذ شمَاءَ بهكنةٌ هيفاءٌ لا نَسْ فيها ولا خوراً^(٢)
 دغٌ عنك شمَاءَ إذ كانت موبئها نزرأ وشراً وصل الواصل النزر^(٣)
 وأت الرسولَ لقل يا خير مؤتمنٍ للمؤمنين إذا لم يعدل البشر
 علامٌ تدعى سلكهم وهي نازحةٌ أمام قوم هم آووا وهم نصروا
 سماءهم الله أنصاراً بنصرهم دين الهدى وعون الحرب تستعر^(٤)
 وسارعوا في سبيل الله واعترفوا للثقات وما خاموا وما ضجروا^(٥)
 والناس ألب علينا فوك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر^(٦)
 نجالد الناس لا نبقى على أحدٍ ولا نضيغ ما توحى به السور^(٧)

(١) سخاً: غزيرة، وحفلة: جمعه، ودبر: دائرة وغزيرة وسائلة.

(٢) الوجد: العزن، وشماء: اسم امرأة، وبهكنة: كثرة اللحم، هيفاء: ضامرة الخصر.

(٣) النزر: القليل. (٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة. وتستعر: تشتد.

وتشعل. (٥) اعترفوا: صبروا، والثقات: المصائب وحواشي الدهر، خاموا: جبوا.

(٦) ألب: مجتمعون، والقنا: الرماح، والوزر: الملجأ.

(٧) نجالد: نقاتل، والسور: هي سور القرآن، يريد أنهم يناقشون أعداءهم ويحفظون طي تعاليم

القرآن ولما كلفهم ويتسكون بها.

وَلَا تَهْرُ جَنَآةُ الْحَرْبِ نَالَيْنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلْظَى نَارُهَا سَعْرٌ^(١)
 كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظُّفَرُ^(٢)
 وَنَحْنُ جَنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبَتْ بِطَرَأَ أَحْزَابُهَا مُضَرٌ^(٣)
 فَمَا وَتَيْنَا وَخِمْنَا ثُمَّ مَا خَبَرُوا مِنَّا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ لَدَى عَثُرَا^(٤)

(١) لَا تَهْرُ: لَا تَكْرَهُ، وَجَنَآةُ الْحَرْبِ: الَّذِينَ يَخُوضُونَ غَمَارَهَا، وَنَادِي الْقَوْمِ: مَجْلِسُهُمْ،
 وَسَعْرٌ: تَوَقَّدَ نَارَ الْحَرْبِ.

(٢) وَيُرَوَّى (كَمْ) بَدَلَ كَمَا.

(٣) النَّعْفُ: أَسْفَلُ الْجَبَلِ، وَحَزَبَتْ: جَمَعَتْ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ جُلُودَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَمِيعِ
 الْغَزَوَاتِ وَالْمَشَاهِدِ، وَقَدْ خَصَّ هُنَا غَزَوَتِي لُحْدَ الْأَحْزَابِ.

(٤) وَلَيْتَنَا: مُضْطَعِفًا وَافْتَرْنَا، وَخِمْنَا: جَبْنَا.

الخاتمة

انتهت معركة حنين بتخليد الله عز وجل وذكريها في كتابه العزيز لتكون درساً بليغاً. وعظة وعبرة يستلهم منها المسلمون الصبر والثبات والاعتماد على الله تعالى في استجلاب النصر والتأييد، قال الله تعالى: ^(١) ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ صدق الله العظيم.

قال ابن كثير في تفسيره: يذكر الله تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عند الله تعالى ويتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعددهم، ونبيههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أم كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدي ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين

(١) الأيتان: ٢٥-٢٦ من سورة التوبة.

الذين معه لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَيُسَامِدُهُ وَإِنْ
 قَلَّ الْجَمْعُ، فـ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

وقال القرطبي: فقال بعضهم لَنْ نُغَلِبَ الْيَوْمَ عَنْ قَلَةٍ،
 فَوَكَّلُوا إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ فِي الْإِبْتِدَاءِ إِلَى أَنْ
 تَرَجَعُوا، فَكَانَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ لِلْمُسْلِمِينَ بِبِرْكَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
 ﷺ، فَيُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْغَلَبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِنَصْرِ
 اللَّهِ لَا بِالكَثَرَةِ، وَقَدْ قَالَ ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ
 بَعْدِهِ﴾ (٢).

كما خَلَّدَ شِعْرَاءُ الرَّسُولِ ﷺ مَعْرَكَةَ حُنَيْنٍ، وَوَجَدُوا
 فِيهَا الْمَادَّةَ الْخَصْبَةَ، وَالْمِيدَانَ الْوَاسِعَ لِيُبَيِّنَ فَضْلَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
 عِبَادِهِ، وَعَظَمَةَ الرَّسُولِ ﷺ، وَثَبَاتِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ
 وَافْتِدَائِهِ بِأَرْوَاحِهِمْ وَمَائِهِمْ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ:

مَنْ مَبْلَغُ الْأَقْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ الْإِلَهِ رَاشِدًا حَيْثُ يَمَّا (٣)
 دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَقَّى إِلَيْهِ وَاتَّصَا

(١) تفسير ابن كثير. (٢) تفسير القرطبي. (٣) تم: قصد وتوجه.

سَرِينَا وَوَاخَعْنَا قُنُودًا مُحَمَّدًا يَوْمَ بَنَا أَمْرًا مِنْ اللَّهِ مُحْكَمًا
تَمَلَّوْا بَنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ لَتَيْقًا وَغَلَبًا مَقُومًا^(١)
عَلَى الْخَيْلِ مَشُودًا عَلَيْنَا فَرُوعًا وَرَجُلًا كُنْفَاعِ الْكُتَيْ عَرْمَرَمًا^(٢)
فَإِنْ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَقَلًا سَلِيمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا^(٣)
وَجَنَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْلُفُونَهُ أَطَاعُوا مَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَرْتَ فِي الْقَوْمِ خَلَدًا وَقَسَمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجَنَدٍ هَدَاهُ اللَّهُ أَتَيْتَ أَسِيرَهُ تَصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَكَمْتَ يَمِينًا بَرَةً لِمَصْدِرٍ فَكَمَلْتَهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مَلْجَمًا
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا وَحُبِّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
وَبَيْنَا بَنَاهِي الْمُسْتَكْبِرِ وَلَمْ يَكُنْ بَنَا الْخَوْفِ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحْزُمًا
أَطْعَمَكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَمَلَكَمَا^(٤)
يَضِلُّ الْحَصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَمِطْطَةً وَلَا يَظْمَلُنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوِّمًا^(٥)
سَمَوْنَا لَهُمْ وَرَدَ الْقَطَا زَفَةً ضَحْحَى وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ أَحْجَمَا^(٦)
لَكُنْ غَنَوَةٌ حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حَذِينَا وَقَدْ سَأَلَتْ دَوَائِفُهُ دَمًا^(٧)
إِذَا شِلْتَ مِنْ كُلِّ رَأَيْتَ طِمْرَةً وَفَارَسَهَا يَهْوِي وَرَمَحًا مَحْطَمًا^(٨)
وَقَدْ أَحْرَزْتَ مَنَا هُوزَانِ سَرِيهَا وَحُبِّ إِلَيْهَا أَنْ نُخِيبَ وَنُحْرَمَا^(٩)

(١) تملأوا بنا: شكوا ألقا، والغلب: الزماح. (٢) رجلاً بفتح الراء: مشاة، والآن: السيل بأن من بلد إلى بلد، ودفاعاً: ما يدفعه أسلحه، والعرمم: الكثير الشديد.

(٣) سَلِيمٌ: من القصب إلى سليم وهو خير إن. (٤) يملم: جبل على مرحلتين من مكة، وهو ميقات الحاج القادم من اليمن. (٥) الحصان الأبلق: الذي فيه بياض مع سواد. والورد: المشرب حمرة. (٦) سمونا: نهضنا لقتالهم، والقطا: طائر معروف، وزفّة الضحى: أشرق به الضحى وساقطاً. وأحجم عن أخيه: شغل عنه وتراجع. (٧) دوائفه: مجاري السيول فيه. (٨) طمرة: فرس سريعة وثابتة، والمطم: المكسر. (٩) السرب: اللامية.

وقال خديجُ بنُ العوجاءِ النصرى:

لما دنونا من حنينٍ ومثلِهِ رأينا سواداً منكراً اللونِ أخصفاً^(١)
 بملومةٍ شهباءٍ لو قفلوا بها شماريخٌ من غزوىٍ إن عك مصفاً^(٢)
 ولو أن قومي طلوعتني مرقّتهمِ إن ما لقينا العارضَ المتكشفاً^(٣)
 إن ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفاً^(٤)

وقال بجيرُ بنُ زهيرٍ بنِ أبي سلمى يذكرُ حنيناً والطائفَ:

كانت علالةٌ يومَ بطنِ حنينٍ وغداةً أوطنسٍ و يومِ الأبرقِ^(٥)
 جمعتُ بإغواءٍ هوازنَ جمعها فتبدنوا كالطائرِ المتمزقِ^(٦)
 لم يمنعوا منا مقاماً واحداً إلا جدارهمُ و بطنَ الضيقِ
 ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا فتحصنوا مئابيلٍ مقلقِ
 نرتدّ حصاراً إلى رجراجةٍ شهباءٍ تلمعُ بالمنيا فيلقِ^(٧)
 ملومةٍ خضراءٍ لو قفلوا بها حصناً لقلّ كانه لم يغلقِ^(٨)

(١) سواداً: بطنى به أشخاصاً بعيدين، والأخصف: الذي فيه ألوان كثيرة (٢) ملومة: أي كتيبة مجتمعة، وشهباء: كثيرة السلاح، ولشماريخ: أعالي الجبال، واحداها: شمراخ. (٣) العارض: السحاب، والمتكشف: الظاهر. (٤) خلف: قبيلة. (٥) العلالة: كلال بعد قتال، وهي من الحال، وهو الشرب بعد الشرب، والأبرق: موضع.
 (٦) بإغواء: هو الفئ خلافاً للرشد.

(٧) حصري: جمع حصير، وهو الضعيف، أو هو الذي لا درع له، والرجراجة: شدة الحركة والاضطراب، والمراد: الكتيبة الضخمة التي يهجم بعضها في بعض، والفيلق: الجيش الكثير لشديد، من الفلق، وهي الداهية. (٨) ملومة: مجتمعة، والحصن: جبل بأعلى نجد.

مَشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَامِ كَأَنَّا قَدَرْتُ تَفَرُّقُ فِي الْقِيَادِ وَ تَلْتَقِي ^(١)
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنَتْ كَالْتَنَهِي هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَفِرِّي ^(٢)
 جَدَلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نَعْلَانَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَ آلِ مُحَرَّقِي ^(٣)

تَعَمُّدُ الرَّمَالَةِ وَالْعَمْدُ لِلَّهِ رَبِّهِ الْعَالَمِينَ
 وَإِلَى الْإِلَهَاءِ مَعَ مَعْرُكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ أُخْرَى
 وَحَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَحَمِيمِهِ وَحَلَّى

(١) الضراء: الكتائب، أو الأسود الضارية، والهرام: نبت له شوك. وقدر: الخيل تجعل أرجلها في مواضع لينها إذا مشت، والولاد: قدر.

(٢) السابغة: الدرع، والنهي: الغدير من الماء، والمتفرق: المتحرك.

(٣) جدل: جمع جدلاء، وهي الدرع الجيدة للنسيج، وآل محرق: هم آل صرو بن هند ملك الحيرة.

الفهرس

٣	معركة حنين
٣	زمانها
٤	سبب تسميتها
٤	أسبابها
٦	تأليب المشركين
١٢	استعداد الرسول للقاء هوازن
١٤	هول المفاجأة
١٧	ثبات المسلمين مع الرسول ﷺ
١٩	نزول السكينة على الرسول والمؤمنين
٢١	صور من بطولات الصحابة
٢١	١ - الرسول ﷺ
٢٣	٢ - شجاعة علي بن أبي طالب
٢٤	٣ - شجاعة أبي سفيان بن الحارث
٢٤	٤ - أم سليم بنت ملحان
٢٥	٥ - أبو قتادة الأنصاري
٢٧	تأييد الله المؤمنين بالملائكة
٣١	المسلمون يطاردون هوازن
٣١	١ - الزبير بن العوام
٣٢	٢ - أبو عامر الأشعري
٣٣	٣ - خالد بن الوليد
٣٤	مقتل دريد بن الصمة
٣٧	الشيءاء أخت الرسول ﷺ
٣٩	الرسول ﷺ يطارد مالك بن عوف
٤٣	المسلمون يحاصرون الطائف
٤٤	يوم الشدخة

٤٦	رويا رسول الله ﷺ
٤٨	إسلام ثقيف
٤٩	إسلام هوازن
٥٥	إسلام مالك بن عوف
٥٨	توزيع الغنائم
٦١	إعطاء المولفة قلوبهم من الغنائم
٦٥	اعتراض رجل من تميم على تقسيم الغنائم
٦٨	موقف الأتصار
٧٢	قول حسان بن ثابت في توزيع الغنائم
٧٤	الخاتمة
٧٩	الفهرس

معارك عربيّة خالدة

٦

مَعْرَكَةُ الْيَمَامَةِ

اعداد

عبدالقادر شيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي

منشورات
دار القلم العربي
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

1421 - 1420 هـ - 2000 م

عنوان الدار :

موزية - جنب - خلف الفندق السياحي

ص.ب : 78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

البريد الإلكتروني : qalam_arabi@naseej.com E-mail :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معركة اليمامة

تمهيد :

انتقل رسول الله ﷺ إلى جوارِ ربه ، فكانت وفاته من أكبر المصائب التي أُصيبَ بها المسلمون في حياتهم .

فبوفاته ﷺ انقطع الوحي من السماء ، وتوقفَ نزولُ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وحُرِّمَ المسلمون استمرارَ فرضِ الحدودِ والتشريعِ والأحكام ، وفقدوا مجالسَ العلم التي كان يتصدرها رسولُ الله ﷺ ، ويستأنسون بها ، وينقلونها إلى أبنائهم وأهليهم وذويهم ، يقولُ رسولُ الله ﷺ : (مَنْ أُصِيبَ بِعَصِيْبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مَصِيْبَتَهُ بِهَا فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ) وبوفاة النبي ﷺ صُعِقَ المسلمون ، وبهتوا ، وتحيروا في أمرِهِمْ ، وزُلْزِلُوا زلْزَالاً شَدِيداً ، ولم يتصورَ بعضهم أن يأتي عليهم يومٌ يفقدون فيه رسولَهُمْ ، فكانتِ المصيبةُ أكبرَ منهم فلم يستوعبوها ، ولم تحتملها

عقولهم ، وجعلوا يقولون : لم يمِت النبي ﷺ ، إنما هو بعضُ ما كان يأخذُه عند الوحي .

وجاء أبو بكر الصديق ﷺ فكشف عن وجهه وقبِلَ بين عينيه وقال : أنتَ أكرمُ على الله أن يميتك...!! ثم قال : قد والله ماتَ رسولُ الله ﷺ .

وكان عمرُ ﷺ في ناحية المسجدِ فقال : والله ما ماتَ رسولُ الله ﷺ ، ولا يموتُ حتى يقطعَ أيدي أناسٍ من المنافقين وأرجلهم ، فقام أبو بكر الصديق ﷺ فصعد المنبرَ فقال : مَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ ، ومن كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ثم تلا قوله تعالى : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبْلِهِ الرسلُ أ فإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)^(١)

(١) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

فسكنتُ ثورةَ عُمر رضي الله عنه، وزالَ دهشه واستغرابه وقال : لكأني لم أقرأها إلا يومئذٍ، ورجع عن قوله : والله ما مات رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله الخ ..

وقال بعد أن بويَعَ الصديقُ رضي الله عنه عنه خليفةً : فلإني قلتُ لكم أمسِ مقالةً وإها لم تكن كما قلتُ ، وإني والله ما وجدتُ المقالةَ التي قلتُ لكم في كتاب أنزلهُ اللهُ ، ولا في عهدٍ عهدِهِ إليَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله ، ولكني كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله حتى يدبُرنا ^(١) فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتابُ الذي هدى اللهُ به رسوله فخذوا به فتدوا لما هُدي له رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيرٍ كم صاحبِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله ، وثاني اثنين ! إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فقام الناسُ يبايعون أبا بكرٍ رضي الله عنه بعد بيعَةِ السقيفةِ .

^(١) يريد حتى يكون آخرنا موتاً .

خطبة أبي بكر بعد توليه الخلافة

بايع جميع المسلمين أبا بكر ورضوه لأنفسهم إماماً وخليفةً لهم بعد رسول الله ﷺ ، حتى علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، فلما تمت البيعة لأبي بكر الصديق ﷺ قام فصعد المنبر فألقى خطبةً بليغةً وجامعةً بينَ فيها سياسته في الحكم ، وفهمه في إدارة شؤون الدولة ، والسهر على راحة الأمة ، وتوفير الأمن والأمان لجميع أفرادها فقال : أما بعد أيها الناس .

فإني قد وليتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوموني ، الصدقُ أمانةٌ ، والكذبُ خيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قوتي عندي حتى أرجع حقه إن شاء الله ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله .

لا يدعُ قومُ الجهادِ في سبيلِ الله إلا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهم الله بالبلاء ، أطيعوا ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

أول أعمال الخليفة أبي بكر الصديق

بعث جيش أسامة بن زيد :

أول عمل قام به أبو بكر رضي الله عنه بعد استخلافه ، بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ، فأشار عليه كثير من الصحابة أن لا ينفذ هذا الجيش لحاجة المسلمين إليه لمهمة أكبر في رأيهم في الظروف الحرجة التي كانت تمرُّ بهم ، لأن بعض القبائل العربية ارتدت عن الإسلام ، خاصة أحياء العرب حول المدينة كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ عند أبي بكر فقالوا : يا أبا بكر ، رد أسامة وأصحابه ، أتوجههم إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ... ؟

فقال : والذي لا إله غيره لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ، ولا حلت لواء عقده رسول الله ﷺ .

ومضى أسامة بن زيد رضي الله عنه بجيشه لا يمرّ بقوم يريدون
الارتداد عن الإسلام إلا قالوا : لولا أن للمسلمين قوةً ملّخرج
مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم .

فلما التقى أسامة وجيشه بالروم قاتلهم فهزمهم ، ورجع
بجيشه إلى المدينة سالماً فثبت هؤلاء على الإسلام ، وكان هذا
من فضل الله تعالى ورحمته بعباده وتوفيجه لخليفة المسلمي الذي
أبدى بتصرفه هذا ذكاءً خارقاً ، وفقهاً واسعاً ، ورأياً سديداً ،
جعل بعض المرتدين يهابون المسلمين ، ويحجمون عن القيام
بمحوم على المدينة ، وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخذ
بالحيطة الكاملة فجعل حول المدينة حراساً أشداء قاموا بحراسة
المدينة بكل حذرٍ وتيقظٍ لحمايتها من هجومٍ متوقعٍ من
الأعراب الضارين حولها والطامعين بها لاعتقادهم أنها أصبحت
خاويةً من المدافعين عنها بعد مسير جيش أسامة ، وكان هؤلاء
الحراس من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلهم منهم :
علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ،

وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ
مسعودٍ رضي اللهُ عنهم وأرضاهم .

أخبار الردّة

الأسود العنسي :

في أواخر أيام النبي ﷺ ارتد أناسٌ من مذحج عن الإسلام ، وعلى رأسهم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة واستولى على اليمن ، بعد أن قتل حاكمها شهر بن باذام الفارسي الذي كان النبي ﷺ قد عينه والياً عليها ، وتزوج الأسود امرأة شهر بن باذام وكانت جميلة ومؤمنة ، وكتب الأسود العنسي واسمهُ عبهلة بن كعب بن غوث ، إلى عمال النبي ﷺ : أيها المتمرّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، وردّوه إلينا فنحن أولى به منكم ، وأنتم على ما أنتم عليه ثم توجه إلى نجران فأخذها بعد قتال دام عشر ليال ، ثم قصد صنعاء فاحتلها بعد خمس وعشرين ليلة ، وأخرج منها عمال النبي ﷺ ، وعلى رأسهم معاذ بن جبل ؓ الذي ذهب مع أبي موسى الأشعري ؓ إلى حضرموت ، التي سقطت في يد الأسود ، واستوثقت له اليمن بكاملها وخضعت لسلطانه ، وكان شرساً شريراً لا يعرف معنى الرحمة فهابهُ الناس ، وخافوا بطشه ،

وارتد كثير من المسلمين من أهل اليمن عن دينهم ، وعامله من بقي معهم على الإسلام بالتقية ^(١) حتى استطار أمره ، واشتد ملكه ، واستغلظ حكمه الذي اعتمد البطش والظلم ، والحديد والنار .

صفة مقتلِه :

حين رأى الناس عمادي الأسود في بطشه وظلمه ثاروا عليه ، وهَمَّوا بقتله ، وكان معظم قواده ومستشاريه من المسلمين لكنهم أخفوا إسلامهم خوفاً من بطشه وانتقامه ، منهم فيروز الديلمي وكان ابن عم زوجة شهر بن باذام الذي قتله الأسود ثم تزوجها ، وكانت تكرهه كرهاً شديداً ، وكانت امرأة مسلمة مؤمنة بالله ورسوله ، فانفقت مع ابن عمها فيروز الديلمي على قتل الأسود ، خاصة وقد جاء الأمر من النبي ﷺ إلى المسلمين في اليمن بقتل الأسود والقضاء على فتنه وأنصاره ، فقام المسلمون بهذا الأمر خير قيام وبقيادة معاذ بن جبل ؓ وهو الوالي الحقيقي على اليمن من قبل

(١) التقية : أن يتكلم المؤمن بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا يقتل ولا يأتي مأثماً .

النبي ﷺ ، فاتصل معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ بالمسلمين في اليمنِ وبلغهم
أمرَ النبي ﷺ بقتالِ الأسودِ العنسي، فاتصلوا بزوجةِ الأسودِ
لعلمهم بإسلامها وكرامتها للأسود ، فقالوا لها : قد عرفتِ ما
صنع هذا الرجلُ بقومِك ، قَتَلَ زوجَك ، وأكثَرَ في قومك
القتلَ ، وفضح النساءَ، وفعل ما فعل فهل عندك مما لأه
عليه...؟

قالتُ : على أي أمرٍ ... ؟

قالوا : إخراجُه من اليمنِ .

قالتُ : أوقلُّهُ .

قالوا : أوقلُّهُ .

قالتُ : نعم ، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغضُ إليَّ منه ،
فما يقومُ لله على حقٍ ، ولا ينتهي له عن حرمةٍ ، فإذا عزمتم
على تنفيذ ما اتفقتم عليه فأخبروني ، ثم اتفقوا معها أن يدخلوا
عليه القصر وهو نائمٌ ، وأن تشعلَ لهم السراجَ علامةً على نومِهِ
وعدمِ وجودِ حراسٍ معه ، فدخل عليه فيروزُ الديلمي فدَقَ

عنقه ، فسمع الحراسُ صوتَ حركةٍ غيرِ طيعيةٍ ، فجاؤوا
بهرعون إليه ويقولون : ما هذا ؟

فقالتِ المرأةُ : النبيُّ يوحى إليه . فرجعوا .

وفي الصباح وقف فيروز ومَنْ معه من المسلمين على شرفةِ
القصر وجعلوا ينادون بالأذان : أشهدُ أن محمداً رسولُ الله ، وأن
عبدله ^(١) كذابٌ ، وألقوا برأسه من الشرفة ، فلما رآه أصحابُه
وقع الخوفُ في قلوبهم وغادروا أماكنهم هاربين ، فتبعهمُ
المسلمون يقتلون منهم ، ويأسرون من استسلم ، وأعزَّ الله
الإسلامَ وأهله ، ورجع نوابُ الرسولِ ﷺ إلى أعمالهم وكتبوا
كتاباً إلى رسولِ الله ﷺ يخبرونه به بمقتلِ الأسودِ والقضاءِ على
حركته ، وروي عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أنه قال : أتى
الخيرُ إلى النبيِ ﷺ من السماء الليلة التي قُتلَ فيها العنسيُّ
ليبشرنا ، فقال : قُتلَ العنسيُّ البارحة ، قتله رجلٌ مباركٌ من
أهلِ بيتِ مباركين ، قيل : ومَنْ ... ؟
قال فيروز ... فيروز .

(١) هو اسم الأسود العنسي كما تقدم

وعن فيروز قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان ، إلا أننا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه ، فكان يصلي بنا في صنعاء ، فوالله ماضى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ .

وكانت فرقة الأسود العنسي بأسرها منكراً لنبوة محمد ﷺ مدعية النبوة لغيره ، فأذلهما الله تعالى وأذاقها العذاب الأليم ، وقضى عليها ، وسوف يذيقها مرَّ العذاب في نار جهنم يوم القيامة .

كما ارتدَّت بنو حنيفة عن الإسلام وعلى رأسهم مسيلمةُ ابنُ حبيب الكذابُ الذي ادَّعى النبوة في حياة النبي ﷺ ، وكتب إليه يقولُ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، أما بعد :

فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك ، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون .

فاجابه رسولُ الله ﷺ : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد :

فإن الأرضَ لله يورثها مَنْ يشاءُ من عبادهِ والعاقبةُ للمتقين .
وبعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت جماعةٌ من بني تميم قوم
سجاح التي ادّعت النبوة أيضاً .

كما ارتدت قبائلُ غسان وفزارة وغطفان وبنو سعد ،
وعلى رأسهم طليحةُ بنُ خويلد الأسدي .

وهناك فريقٌ آخرُ ظلوا مسلمين لكنهم فرقوا بين الصلاة
والزكاة ، فأفروا بالصلاة ، وأنكروا فرضَ الزكاة وقالوا : لا
نودّها إلا لمن صلاته سكنٌ لنا ، وقد مات ، فسقط حكمُ
الزكاة .

ومنهم من جمع الزكاة من قومه وذهب ليؤدّيها إلى الخليفة
الصديق ﷺ ، فصَدَّهم مالكُ بنُ نويرة ، ومنعهم من أدائها .
كما ارتدت قبائلُ أخرى عن الإسلام ، وأنكروا الشرائع ،
وتركوا الصلاة والزكاة وغيرهما وعادوا إلى ما كانوا عليه في
الجاهلية .

وتمسَّك المؤمنون بدينهم ، وخافوا بطشَ المرتدين ، وأخفوا
عبادتهم ، فلم يكن يُسجدُ لله تعالى في بساطِ الأرض إلا في

ثلاثة مساجد : مسجد مكة المكرمة ، ومسجد المدينة ،
ومسجد عبد القيس في البحرين في قرية يقال لها جواتا ، وفي
ذلك يقول شاعرهم مفتخرأ :

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمتبران وقول الفصل في الخطب
أيام لا منبر للناس تعرفه إلا بطيبة والمحجوب ذي الحجب

وكان المؤمنون المتمسكون بدينهم محصورين في قريرتهم
جواتا ، فكتبوا إلى الخليفة أبي بكر الصديق يستنجذونه ليهب
لإنقاذهم ، فقال بعضهم :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا وفيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام قعود في جواتا مُحْصَرِينَا
كأن دماءهم في كل فج دماء البدن تُعْشِي الناطرينَا^(١)
توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا

(١) تعشى : من عشا يعشو إذا كان لا يبصر ، وقيل : العشو ، هو النظر ببصر ضعيف .

في هذه الصورة للزعجة ، والظروف القاسية ، والأحداث
للمؤلة استقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجرّ خلافته ، فما عساه
يفعل وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسؤول عن دين الله
وعبادِه أمام الله والتاريخ والإنسانية .

عزم أبي بكر على قتال المرتدين :

كان أبو بكر رضي الله عنه مشهوراً بركة قلبه ، ولين خلقه ،
وإرهاق جسده إلى حدٍ اشتهر فيه أنه دائم البكاء ، وكل هذه
الأخلاق اللينة لا تتناسب مع الظروف المحيطة بالإسلام ،
والخلافة تتطلب الشدة والصرامة والحزم ، لكن شاءت إرادة
الله تعالى أن يتحول أبو بكر من اللين إلى الصلابة ، ومن الرقة
إلى الشدة ، ومن الإرهاق العاطفي إلى حزم العقل ، وصرامة
الحكمة ، ففكر في الأمر ، ودرس الموقف ، واستعرض الحالة
السياسية للدولة ، والظروف المحدقة بها ، والأخطار المترتبة
عليها ، فلجأ إلى قول الله تعالى : (وشاورهم في الأمر فإذا
عزمت فتوكل على الله) ^(١) فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

وأعلن أمامهم أنه يريدُ قتالَ كلِّ مَنْ ارتدَّ عن الإسلامِ ، وغيرِ
وبذل ، وحرَّفَ كلامَ الله تعالى ، وأنه يرى العلاجَ في الحزمِ ،
والحكمَ للسيِّفِ .

فاستغربَ عمرُ رضي الله عنه قرارَ أبي بكرٍ السريعَ والمفاجيءَ ، فقال
متعجباً : كيف تقاتلُ الناسَ وقد قالَ رسولُ الله ﷺ : أُمِرْتُ
أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إلهَ إلا الله ، فمن قال لا إلهَ إلا
الله فقد عصمَ مني مالهُ ونفسُهُ إلا بحقه وحسابُهُ على الله ... ؟
فقال أبو بكرٍ : والله لأقاتلنَّ من فرَّقَ بين الصلاةِ والزكاةِ ،
فإن الصلاةَ حقُّ النفسِ ، والزكاةَ حقُّ المالِ ، فمن صلى عَصَمَ
نفسُهُ ، ومن زكَّى عَصَمَ ماله ، ومن لم يصلِ قُوتل على تركِ
الصلاة ، ومن لم يزكَّ أُخِذتِ الزكاةُ منه قهراً ، فإن نَصَبَ لنا
الحربَ قاتلناه .

ثم قال مقولته المشهورة : والله لو منعوني عقلاً كانوا
يؤدونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتهم على منعه .

فسكتَ عمرُ، وسكتَ الناسُ وقد غشيَهُمُ الذُّهولُ ،
وأخذتُهُمُ الدهشةُ حينَ رأوا حزمَ أبي بكرٍ وشِدَّتَهُ وصِرامَتَهُ
وصِلابةَ رأيِهِ ، وتصميمَهُ على قتالِ أهلِ الرِّدةِ .

لكنَّ سكوتَهُم لم يكنْ سكوتَ شَكٍّ أو اضطرابٍ ، بل
كان سكوتَ رضاٍ وقناعةٍ وإيمانٍ ، وجميعهم متحمسون
لمصلحةِ الإسلامِ ، والدِّفاعِ عنه ، ومقارعةِ كلِّ خطرٍ ينزلُ به
ويتهدِّدُ أَمَنَتَهُ وسلامةَ أفرادِهِ ، من أجلِ هذا أيَّدوا رأيَ أبي بكرٍ
ومالوا إليه ، ووافقوا على القتالِ .

يقولُ الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله عزَّ
وجلَّ قد شرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فعرفتُ أنه الحقُّ .

وبذلك يحرصُ المسلمونُ على أن تكون كلمةُ الذين كفروا
السُّفلى وكلمةُ الله هي العليا ، ولتبقى رايةُ الإسلامِ عاليةً
خفاقةً عزيزةً كريمةً ، والله العزَّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ .

مشروعية قتال المرتدين :

لقد أعطى الإسلامُ الإنسانَ حريةَ التفكيرِ والتعبيرِ ،
واختيارَ العقيدةِ التي يؤمن بها ويميلُ إليها ، ولم يُكرِهْ أحداً على

الدخول في الإسلام بالقسوة والإكراه إلا عن رضى وطوعية ،
وفي ذلك يقول الله عز وجل : (ولو شاء ربك لآمنَ مَنْ في
الأرضِ كُلُّهم جميعاً أفأنتَ تُكرهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين)^(١)
ويقول : (فذكرَ إنما أنتَ مذكّرٌ . لستَ عليهم بمسيطر)^(٢) .
فلقد بيّن الله عز وجل وظيفة النبي والداعية بأنها تنحصر في
التذكير والتبليغ ، (ما على الرسول إلا البلاغُ والله يعلمُ
ما تبدون وما تكتمون)^(٣) ..

والإيمان أمرٌ قلبي ، ومن المستحيل التأثير في وجدان المرء
وعقله وقلبه بالقوة والإكراه ، لذلك كان النبي ﷺ في جميع
مراحل دعوته وأساليبها يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة
الحسنة ، ولم يكن يُكره أحداً على الدخول في الإسلام ، فكلن
نتيجة هذه السياسة الحكيمة أن دخل الناس في دين الله أفواجا
عن قناعة وإيمان .

(١) الآية ٩٩ من سورة يونس .

(٢) الأيتان ٢١ — ٢٢ من سورة الغاشية .

(٣) الآية ٩٩ من سورة المائدة .

وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ غَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَلَّ ذَنْبُهُ جَمِيعاً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)^(١) أي إِنْ يَنْتَهُوا عَنْ كُفْرِهِمْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ مَضَى قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ شُرْكَ أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ . رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَوَ ابْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ يَبْكِي طَوِيلًا ... الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ...؟)^(٢) .

(وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَاسِعِ رَحْمَتِهِ ، مَنْ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ يَخْطِئُونَ وَيَذْنِبُونَ ، وَيَقْتَحِمُونَ الْكُفْرَ وَالْجَرَائِمَ ، وَيُرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَالْمَآثِمَ ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يُوجِبُ مُوَاخَذَةً لَهُمْ لَمَا اسْتَدْرَكُوا أَبَدًا تَوْبَةً ، وَلَا نَالَتْهُمْ مَغْفَرَةٌ وَلِذَلِكَ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَبُولَ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْإِنَابَةِ ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ بِالْإِسْلَامِ ، وَهَدَمَ عَنْهُمْ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْرَبَ

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنفال .

(٢) صحيح مسلم .

لدخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم لكلمة المسلمين ، ولو علموا أنهم يُؤاخذون لما تابوا وما أسلموا (١) ولذلك جعل الله عز وجل عقاب المرتد عن الإسلام أليماً ، لأنه تنكّر لفضل الله تعالى ، ورفض رحمته وعفوه وإحسانه ، واستهزأ بالإسلام وعدالته وتعاليمه ، وشجّع غيره على الردّة ، فجعل من الإسلام سخريةً وألوبةً يدخله متى شاء ، ويخرج منه متى شاء مستهتراً بأحكامه ، غير عابئ بتشريعه ، لذلك قال رسول الله ﷺ : (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ) (٢) وتبديل الدين تغييره وانتقال منه إلى دين آخر .

كما شدّد الله عزّ وجلّ الحكم على المرتد ، وتوعّده بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبقتله أمام طائفة من المسلمين ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه الارتداد عن الإسلام ، وأما في الآخرة فيحبوط عمله ، وخلوده في نار جهنم والعياذ بالله تعالى ، قال الله عزّ وجلّ : (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

(١) تفسير القرطبي .

(٢) رواه الشيخان .

أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١١) .

وقال رسول الله ﷺ : (لا يخل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) وهذه النصوص الشريفة كانت أدلة قوية وقطعية استند إليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتال المرتدين .

تجهيز الجيش :

اتخذ الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه الأدلة الشرعية الآنف الذكر أدلة لتأديب المرتدين وحريهم وإرغامهم إلى العودة إلى الإسلام ليحفظ له هيئته ، ولتبقى رأيته عالية خفاقة ، فمن ياترى يكون أهلاً لإنجاز هذه المهمة الصعبة ... ؟ ومن سيقع عليه الاختيار لقيادة الجيش والقضاء على الحركات المتمردة ، والإنفصالية .. ؟ ، وبسرعة وبلا تردد اتجه أبو بكر نحو خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم عبد

(١١) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار والمنافقين، وأعلن أمام الجميع أن خالد بن الوليد هو القائد العام للجيش الإسلامي في قتال أهل الردّة، وأن جميع القادة والأمراء في هذه الحروب تبع له ونحّت تصرفه وإمرته، وأنهم يقاتلون تحت رايته لرفع لواء الإسلام والحفاظ على هيّته .

لقاء خالد وطلحة :

ثم قلده اللواء، وأمره أن يذهب أولاً إلى طلحة الأسدي الذي ادعى النبوة كما تقدم، وقام بمؤازرته عيّنة بن حصن الفزاري وقال لقومه : والله لنبي من أسد أحب إلي من نبي من بني هاشم وقد مات محمد، وهذا طلحة فأتبعوه، فوافقه قومه بنو فزارة على ذلك وانضموا إلى جيش طلحة الأسدي، كما انضم إليه قبائل عبي وذيان وكثيرون غيرهم، فأصبح تحت قيادة طلحة عدد كبير من المقاتلين، وقوة يحسب لها ألف حساب، ولكنها قوة لا يؤيدها الحق، ولا يدعمها العدل .

إنما دعوة قائمة على الكذب والدجل والباطل ، وإن دعوة قائمة على أساس من الكذب لن يكتب لها النجاح ، ولن تسود وإن دعمتها ووقفت إلى جانبها قوى البغي والشر والضلال ، وكل ما بيني على باطل كانت هأيتة الفشل والفشل الذريع ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمقه فإذا هو زاهق)^(١).

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض^(٢).

هذا هو القانون الإلهي الخالد ، وهذه سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، لذا فإن مصير الكفر مهتدٌ مهما يحدث من شغب ، ومهما يجند من شياطين ، إنهم إذا كرغوة متفشة لا تلبث أن تضمحل وتلاشى وتذهب إلى غير رجعة . وانطلق خالد عليه السلام بجنوده حتى التقى بطليحة الأسدي ، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب يرقبون للمعركة ، وينظرون على من تكون الدائرة ... ؟ وقد سمعوا بشجاعة خالد

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء .

(٢) الآية ١٧ من سورة الرعد .

واستهانت به بالموت ، وانتصاراته الكثيرة والمتلاحقة ، والآن سيكون اللقاء العنيفُ بينه وبين طليحة الذي لا يقلُّ بأساً وشجاعةً ومهارةً في الحروبِ عن خالدٍ ، لذلك وقفوا يرقبون بتلهفٍ نتيجةَ هذا النزالِ .

وكان أبو بكرُ الصديقُ قد بعثَ عديَّ بنَ حاتم الطائِيَّ لقومه بني طيء الذين تابعوا طليحةَ على الباطلِ ، وقال له : أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارُهم ، وذلك قبل إرسالِ خالدٍ .

فذهبَ عديٌّ إلى قومه بني طيء ، وحذّرهم مغبة الأمرِ وخطورتهُ ، وأمرهم أن يبايعوا الصديقَ ، ويرجعوا إلى أمرِ الله ، ويدعوا للحق .

فرفضوا أمره ، وأبوا أن يبايعوا الصديقَ وقالوا : لا نبايع أبا الفحل أبداً ^(١) .

فقال عديٌّ : والله ليأتينكم جيشٌ فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر .

^(١) يقصدون بأبي الفحل أبا بكر .

ولم يزل عديّ ينصحُ قومه ، ويخاطبُهم بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا نوا واستجابوا لنصحه ، وتخلّوا عن نصره طليحة في اللحظة الأخيرة .

وأقبل خالدٌ رضي الله عنه بجيشه وقد جعل على مقدمة الأنصار ثابت بن قيس ، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم ، وعكاشة بن محصن طليعة ، فلقِيهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما من الجند ، فبارزوا فقتل عكاشة بن محصن جبال بن طليحة ، فحمل عليه طليحة فقتله ثم شدّ هو وأخوه سلمة على ثابت بن أقرم فقتلاه .

وجاء خالدٌ رضي الله عنه فوجدهما صريعين ، فغضب لقتلهما غضباً شديداً ، وانقضَّ على بني طيء لينتقمَ منهم ، فناداه عديُّ بن حاتم وقال له : أنظرنى ثلاثة أيام ، فإنهم قد طلبوا مني ذلك حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم ، وهذا أحبُّ إليك من أن يعجلهم إلى النار .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أقبل إليه عدي ومعه خمسمئة مقاتل من قومه بني طيء ممن راجع الحق ، فانضموا إلى جيش خالد .

ثم قصد خالد بني جديلة ، فقال له عدي : يا خالد ، أجلني أياماً حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئاً . فاستجاب له خالد وأجله أياماً كما أراد .

وذهب عدي إلى بني جديلة وأخذ يفاوضهم حتى استجابوا له ، وتابعوه على رأيه ، ورجعوا إلى الإسلام ، ولحق منهم ألف فارس أصبحوا عوناً للمسلمين . وبعد أن انتهت المحاولات السياسية التي قام بها عدي بن حاتم ، وكانت لمصلحة المسلمين ، فقد آن لخالد أن يقصد طليحة ، ويصفى معه حساب رده وحركته الانفصالية ، وأدعائه النبوة كذباً ودجلاً ، وزوراً ومهتاناً .

وانطلق خالد يطارده حتى التقى معه في مكان يقال له (بزاحة) .

اللقاء

والتقى الجيشان في بُزَاخَة ، واصطفَّ النَّاسُ لِلْقِتَالِ ،
وجلس طليحة مُلتَفًّا في كساءٍ يدَّعي أَنه يَنْتَظِرُ الوَحْيَ مِنْ
السَّمَاءِ ، وكان معه صَاحِبُهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الَّذِي ارْتَدَّ مَعَهُ عَنِ
الإِسْلَامِ ، وَتَابَعَهُ عَلَى الْبَاطِلِ .

ثم التَحَمَّ الْجَيْشَانِ ، وَاسْتَعَرَتْ نَارُ الْحَرْبِ ، وَاشْتَدَّ أَوَارُهَا ،
فَكَانَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ يَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى طَلِيحَةَ وَهُوَ
مَلْتَفٌّ فِي كَسَائِهِ فَيَسْأَلُهُ :

أَجَاعَكَ جَبْرِيلُ ... ؟

فَيَقُولُ : لَا .

فَيَرْجِعُ عَيْنِيهِ فَيَقَاتِلُ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ ثَانِيَةً فَيَسْأَلُهُ : أَجَاعَكَ

جَبْرِيلُ ... ؟

فَيَقُولُ : لَا .

فَيَرْجِعُ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا مَلَ الْقِتَالُ وَأَجْهَدُهُ

التَّعَبُ رَجَعَ إِلَى طَلِيحَةَ يَسْأَلُهُ : هَلْ جَاعَكَ جَبْرِيلُ ... ؟

فَيَقُولُ : نَعَمْ .

فيقولُ عَيْبَةُ : فما قال لك .. ؟

قال : قال لي إن لك رجاءً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه .
فعلم عَيْبَةُ أن طُليحَةَ مفترٍ كذابٌ فقال له : أظنُّ أن قد
علم الله سيكونُ لك حديثٌ لا تنساه .

ثم قرر أن يفارقه ، ويتخلى عنه لما تبَيَّنَ له من كذبه
ودجله ، فنادى قومه فزاةً وأمرهم أن ينسحبوا من المعركة
فقال : يا بني فزاةً انصرفوا عن القتال فاستجابوا له ، وكفّوا
أيديهم ، وأغمدوا سيوفهم ، وانفضّوا عن طُليحَةَ ، وانسحبوا
من أرضِ المعركة ، وهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ ، وأَسِرَ مِنْ أُسِيرٍ ، وبقي
طُليحَةُ وحيداً بعد أن ظهرَ كذبه ، وكشفَ أمرُهُ ، ثم نظر
حوله فلم يرَ أحداً يناصِرُهُ ويشدُّ أزرَهُ ، فنفضَ كساءه ،
وركب فرسَهُ وكان قد أعدّها ، وحمل امرأته النوارَ على بعير
واشدَّ هارباً إلى الشام ، وقضى أمرُهُ ، وتفرقَ جمعُهُ ، وقُتِلَ
معظمُ من كان معه ، وظهر الحقُّ ، وزهقَ الباطلُ ، وإن كان
للباطلِ جولةٌ فإنها لن تدومَ ، ولن يكتبَ لها النجاحُ ، وإن ظهر
الباطلُ يوماً فإن هذا لن يغيّرَ من حقيقةِ الأمرِ شيئاً ، وإن خفي

الأمرُ في الدنيا على العباد ، فإنه لن يخفى يومَ القيامةِ على رب العبادِ الذي يقولُ في كتابهِ العزيزِ : (ونضعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامةِ فلا تظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ^(١) .

فالحقُّ يبقى حقاً وهو الأقوى دائماً ، والباطلُ يبقى باطلاً وهو الضعيفُ أبداً مصداقاً لقولِ الحقِّ تبارك وتعالى : (وقل جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً) ^(٢) .

فلما رأى أصحاب طليحة أنه قد فرَّ هارباً تبيينوا كذبه ، وعلموا أنه يدعو إلى ضلالةٍ ، وأن دعوته قائمةٌ على الدجلِ والباطلِ ، ومن كان كذلك كان جباناً ، ليس أهلاً للثقة ، ولا جديراً بالأمانة ، بل إنه ضعيفٌ مهزوزٌ لا يستقيم على حال ، ولا يثبتُ على أمرٍ ، فهو من الذين قال اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ . يدعو من دونِ اللهِ مالا

^(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

^(٢) الآية ٨١ من سورة الإسراء .

يضرُّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلالُ البعيدُ . يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ
أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسَ لِلْوَلِيِّ وَلِبَيْسَ الْعَشِيرُ ^(١) صدق الله
العظيم .

فلما هرب طليحةُ ورآه قومهُ أَحْسَوْا بِمَخْطِئِهِمْ ، وَعَلَمُوا
أَنَّهُمْ تَابِعُوهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ
وَقَالُوا : نَدْخُلُ فِيْمَا خَرَجْنَا مِنْهُ ^(٢) ، وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
وَنَسْلُمُ لِحُكْمِهِ فِي أَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا .

وهذا هو الرأْيُ الصَّائِبُ ، فَلَا خِيَارَ لَهُمْ غَيْرُهُ لِیَأْمَنُوا عَلَى
أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَلِيُطْمَئِنُّوا عَلَى دِينِهِمْ وَخَاتَمَةِ أَمْرِهِمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَذَهَبُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ عليه السلام يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ،
وَيَقْدِمُونَ لَهُ الْوِلَاءَ وَالطَّاعَةَ ، وَيُظْهِرُونَ أَسْفَهُهُمْ وَنَدَمَهُمْ عَلَى
مَا بَدَّرَ مِنْهُمْ ، وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ الصَّلَاحَ . فَخَيَّرَهُمُ الصِّدِّيقُ عليه السلام
بَيْنَ حَرْبٍ مَجْلِيَّةٍ ، أَوْ خُطَّةٍ مَخْزِيَّةٍ ، فَقَالُوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ،
أَمَّا الْحَرْبُ الْمَجْلِيَّةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا ، فَمَا الْخُطَّةُ لِلْمَخْزِيَّةِ ... ؟ قَالَ :

^(١) الآيات ١١ - ١٣ من سورة الحج .

^(٢) يقصدون الإسلام .

تُؤْخَذُ مِنْكُمْ الْحَلَقَةُ^(١) وَالْكَرَاعُ وَتَتْرَكُونَ أَقْوَاماً يَتَّبِعُونَ أَذْنَلَبَ
 الْإِبْلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَكُمْ بِهِ ،
 وَتُؤَدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنَّا ، وَلَا تُؤَدِّي مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ ، وَتَشْهَدُونَ
 أَنْ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنْ قَتَلَكُمْ فِي النَّارِ ، وَتَدُونَ^(٢) قَتْلَانَا وَلَا
 نُدِي قَتْلَكُمْ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمَا قَوْلُكَ تَدُونَ قَتْلَانَا ، فَإِنْ قَتَلْنَا قُتِلُوا
 عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا دِيَاتَ لَهُمْ ، وَفِي الْحَلَقَةِ وَالْكَرَاعِ ، نَعَمْ مَا
 رَأَيْتَ .

مَصِيرُ طَلِيحَةٍ وَمَنْ تَابَعَهُ :

وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الصَّدِيقِ وَبَقِيَ عَلَى رَدَّتِهِ وَعِنَادِهِ ، أَخَذَ
 الْمُسْلِمُونَ يَلَا حَقْوَهُمْ مِنْ مَكَانٍ لآخرَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقُوهُ
 بِالنَّارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَضَخُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ رَمَوْا بِهِ مِنْ
 شَوَاهِقِ الْجِبَالِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ ، حَتَّى تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ لَا
 يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ .

(١) الحلقة : السلاح كله ، والكراع هنا الخيل والإبل .

(٢) تدون : تدفون ديات قتلى المسلمين .

وأما عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَقَدْ وَقَعَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ،
فَبَعَثَ بِهِ الْقَائِدُ خَالِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَجَعَلَ
الصَّبِيانُ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَيَقُولُونَ لَهُ : أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، ارْتَدَدْتَ
عَنِ الْإِسْلَامِ ... ؟

فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ آمَنْتُ قَطُّ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْخَلِيفَةِ الصَّدِيقِ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَلِيلًا صَاغِرًا
يَنْتَظِرُ الْمَصِيرَ الْمُرْتَقِبَ ، وَقَدْ طَاطَأَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَنْظُرْ فِي
وَجْهِ أَبِي بَكْرٍ خَجَلًا وَاسْتَحْيَاءً مِمَّا صَنَعَ .
فَتَقَدَّمَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ وَالْعُودَةَ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، وَفِي ذَلِكَ سَلَامَتُهُ وَحَقْنُ دَمِهِ ، وَخَيْرٌ لَهُ فِي دُنْيَاهُ
وآخِرَتِهِ .

فَوَافَقَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَعْلَنَ تَوْبَتَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ تَائِبًا
نَادِمًا وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَمِيعُ الْأَسْرَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ .

وَأَمَّا طَلِيحَةُ فَقَدْ أَعْلَنَ تَوْبَتَهُ ، وَأَظْهَرَ نَدَمَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، فَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يَقَابَلَ

أبا بكرٍ ، فلم يرجع إلى المدينة فالتحق بجيش خالدٍ يقاتل تحت رايته وهو جندي من جنوده .

فكتب خالدٌ إلى أبي بكرٍ يخبره بذلك .

فرد عليه أبو بكرٍ قائلاً : أن اقبله مسلماً تائباً ، واستشره في الحرب ، ولا تؤمره .

ومعنى هذا أن يعامله خالدٌ بنقيض ما كان قصده من الرئاسة والزعامة ، وهذا من فقه أبي بكرٍ رضي الله عنه ، ورأيه الصائب ، وفكره الثاقب .

ولم يظلم أبو بكرٍ طليحةً ، ولكن طليحة هو الذي ظلم نفسه وجنى عليها ، (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

وظل طليحة مسلماً تائباً صادقاً في إسلامه ، مخلصاً في توبته ، ومجاهداً في سبيل الله طيلة حياته ، حتى شهد فتح هاوند كما سنذكر ذلك في حينه إن شاء الله تعالى .

نموذج من خرافات طليحة

لقد أعزَّ الله دينه ، ونصرَ جنده ، وهزَمَ الباطل وأهله ،
وخَذَلَ الشيطان وأعوانه ، وعلتُ كلمةُ الله ، وارتفعتُ رايةُ
الإسلام ، وعادت تلاوةُ آياتِ القرآن في ديارِ غطفان وفزارة ،
وغسان وأسدٍ وبني سعدٍ وغيرها من القبائل المرتدة عن
الإسلام ، وقد رجعوا إليه تائبين نادمين بعد أن ظهر لهم
الحقُّ جلياً واضحاً لا غشَ فيه ولا غشاة ، ومن هؤلاء
التائبين نسمع هذا الحوارَ الذي دار بينه وبين القائد خالدٍ رضي الله عنه .
يروى أن خالداً رضي الله عنه قال لبعض أصحاب طليحة ممن تابَ
وحسُنَ إسلامه : أخبرنا عما كان يقولُ لكم طليحةُ من
الوحي ... ؟

فقال بعد تردد واعتذار طويلين : إنه كان يقولُ : الحماةُ
واليمامُ ، والصُّرْدُ ^(١) والصُّوَام قد صُمِنَ قبلكم بأعوام . ليلُغَنَّ

(١) الصُّرْدُ : نوع من الغربان ، والائتى صُرْدَةٌ ، والصوام : جمع صائم .

ملكنا العراق والشام .. إلى غير ذلك من التفاهات
والخرافات ، والهذيان السمجية .

مطاردة المرتدين :

انتهى أمر طليحة ومن تابعه على الباطل ، وقضي على
حركته الانفصالية ، ودعوتيه الفاسدة ، ليحيى الأمر من
الخليفة أبي بكر إلى خالد يقول له :

ليزدك ما نعلم الله به خيراً ، واتق الله في أمرك ، فإن الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

جُدَّ في أمرك ولا تلن ، ولا تظفر بأحدٍ ومن المشركين قتل
من المسلمين إلا نكلت به ، ومن أخذت ممن حاد الله
ورسوله أوضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله .

وما إن وصل خالداً كتاب الخليفة الصديق حتى انتفض
من مكانه كانتفاض الأسد في عرينه ، ثم أصدر أوامره لفرسانه
الذين قبضوا على سيوفهم ، وأخرجوها من أعمادها بعد أن
تعاهدوا على أن لا يعيدوها حتى يقضوا على آخر رجل من
المرتدين ، وينتهوا من أمر الفتنة الهوجاء ، وانطلقوا

يطاردون فلول المرتدين ، ويتزلون همُّ البأس والغضب انتقاماً
لله ورسوله ، وثاراً لقتلى المسلمين حتى أذاقوهم مرَّ الخوف
والذل والهوان ، ومزقوهم شرَّ ممزقٍ ، ومن ألقى سلاحه
واستسلم وكفَّ عن القتال ، ورجع إلى الإسلام نجاً بنفسه
وأهله ، ومن أصرَّ على كفره وردَّته قُتِل ، أو هرب وضلَّ في
الأرض ، ومضى على غير هدى طريداً شريداً ليصبح عبرةً
لغيره من الكفرة والمرتدين جزاء بما كسبت أيديهم
وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وهذه سنة الله
في الذين كفروا لن تبدل ، ولن تتغير ، ولن تجد لسنة الله
تحويلاً ، قال تعالى : (فكلأ أخذنا بذنبيه فمنهم من أرسلنا
عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به
الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون)^(١) .

وقال الله تعالى عن أهل سبأ :

(١) الآية ٤٠ من سورة العنكبوت .

(وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديثَ ومزقناهم كلَّ
مُزَقٍّ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)^(١).

ومن أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَرَدَّتِهِ لَجَأً إِلَى أُمِّ زَمَلٍ : وهي
سلمى بنتُ مالِكِ بْنِ حَذِيفَةَ كانت من سيدات العرب ،
وكانت أُمُّهَا امرأة ذات شخصيَّة قويَّة ، ومكانة مرموقة بين
العرب ، ومضرب المثل في النسب والشرف لكثرة ما لها
وأولادها وعزة قبيلتها وبيتها .

ولهذا لجأ إليها الفارون من المرتدين من أسدٍ وغطفان
وغيرهما .

فقبلتهم أُم زَمَلٍ وعبأتهم لقتال خالدٍ ، وانضمَّ إليهم
آخرون من بني سليم وطِيءٍ وهوازنَ ومن فرَّ يومَ وقعةِ
بُزَاحَةَ ، فشكّلوا بذلك جيشاً قوياً انتشرَ خبرُهُ بين قبائلِ
العربِ ، واستفحل أمرُ أُم زَمَلٍ حتّى بلغ خالدُ الذي سار إليها
بجيشه فالتقى معها ودار بينهما قتال شديد وعنيف وكانت أُم
زَمَلٍ تشرف بنفسها على القتالِ ، وتوجّه الفرسانَ ، وهي

^(١) الآية ١٩ من سورة سبأ ..

راكبة على جمل أمها الذي يقال عنه : مَنْ يمسُّ جملها فله مائة
من الإبل ، وذلك لعزها ومنعتها وكثرة الفرسان الذين يحمونها
وقوتهم ، ولكن ذلك لم يكن ليعجز خالد الذي عرف ذلك
عنها فحمل على فرسانها فقتلهم ، وعقر جملها وقتلها ، فلما رأى
فرسانها ومن لجأ إليها من المرتدين فقتلها غادروا أرض المعركة
وجدوا في الحرب ، وانتهى أمر أم زمل ، وقضى على دعوتها
وتجمّعها ، وبعث خالد بنصر الله وفتح إلى الخليفة أبي بكر ،
وتناقلت العرب أخباره وأنباء انتصاراته الكثيرة المتلاحقة ،
فوقع الخوف في قلوبهم فلا يزالون يهابونه ويخشون لقاءه .

وهذا شأن المؤمن المخلص الصادق الذي يخشى الله ،
ومَنْ خشي الله خشيته كل شيء ، وهابه الناس ، وخافوا لقاءه
وحسبوا له ألف حساب .

ومَنْ يصدق الله يصدق الله ويتول أمره ، ويدفع عنه كيد
المعتدين ، وتأمّر المتأمرين ، ويحمي من شر الأشرار وحسد

الحُساد المبغضين ، (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيَوَّتِّهِ أَجْرًا عَظِيمًا) ^(١) .

وإذا العنايةُ لاحظتَكَ عيونها تَمَّ فالمخاوفُ كُلُّهنَّ أمانُ

والله تعالى يقولُ لكلٍ مَنْ يَؤْمَنُ بِهِ ويتوكلُ عليه بصدقٍ وإخلاصٍ نيةً :

(واصبرْ لحكمِ ربِّكَ فإنَّكَ بأعيننا وسبح بحمدِ ربِّكَ حينَ تقومُ) ^(٢) .

أي بحفظنا ورعايتنا ، نحميك ونحفظُكَ ، وندفعُ عنكَ كلَّ شرٍّ وبلاءٍ .

وحينَ أمرَ اللهُ تعالى موسى أن يذهبَ مع أخيه هارونَ إلى فرعونَ قال : (اذهبْ أنتَ وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري . اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً لينا لعله يتذكرُ أو يخشى . قالَا ربَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى .

^(١) الآية ١٠ من سورة الفتح .

^(٢) الآية ٤٨ من سورة الطور .

قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (١) فنصر الله عز وجل وتأيدته لعباده المؤمنين أمرٌ محتَمٌ في كلِّ زمان ومكان لأنه صادرٌ عن أصديقِ القائلين سبحانه وتعالى الذي يقولُ : (إنا لننصُرُ رُسُلَنَا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد) (٢) .
(ولقد سبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين . إِنْهُمْ لَهُمُ المنصورون . وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الغالبون) (٣) .

سجاحُ وبنو تميم :

اختلفت آراء بني تميم أيام الردة ، فمنهم من ارتدَّ ومنع الزكاة ، ومنهم من بعث بأموال الزكاة : إلى الخليفة أبي بكر ، ومنهم من توقف متحيراً لا يدري ماذا يفعل .

في هذه الظروف والحالة كذلك إذ أقبلت إليهم سجاحُ بنتُ الحارث بن سويد بن علفان التغلبية ، وهي من نصارى العرب ، وكانت قد ادَّعت النبوة أيضاً، وفي ذلك يقولُ

(١) الآيات ٤٢ — ٤٦ من سورة طه .

(٢) الآية ٥١ من سورة غافر .

(٣) الآيات (١٧١ — ١٧٣) من سورة الصافات .

عطارْدُ بْنُ حَاجِبٍ وَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَحَدُ
رِجَالِ سِجَّاحِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهَا الْمُشْجَعِينَ لِدَعْوَتِهَا :
أَمْسَتْ نَيْتًا أَثْنَى نَظِيفُهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ ذَكَرَانَا

فَلَمَّا مَرَّتْ سِجَّاحُ بَنِي تَمِيمٍ عَرَضَتْ عَلَيْهِمْ دَعْوَتَهَا ،
وَدَعَتْهُمْ إِلَى التَّحَالُفِ مَعَهَا فَاسْتَجَابَ لَهَا مُعْظَمُهُمْ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ
مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ ، وَعُطَارْدُ بْنُ حَاجِبٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْ سَادَاتِ بَنِي
تَمِيمٍ ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ مِنْهُمْ عَنِ التَّعَاوُنِ مَعَهَا ثُمَّ اصْطَلَحُوا
جَمِيعًا عَلَى عَدَمِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَقَالَتْ لَهُمْ سِجَّاحٌ فِيمَا تَسَجَّعُهُ : أَعِدُّوا الرِّكَابَ ، وَاسْتَعِدُّوا
لِلنَّهَابِ ، ثُمَّ أَغِيرُوا عَلَى الرِّبَابِ ، فَلَيْسَ دُونَهُمْ حِجَابٌ .

فَاسْتَجَابَ الْقَوْمُ لَهَا ، وَاتَّفَقُوا عَلَى نَصْرِهَا وَالْقِتَالِ مَعَهَا ،
وَأَعْطَوْهَا عَلَى ذَلِكَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ .

ثُمَّ قَصَدَتْ مَعَهُمُ الْيَمَامَةَ لِتَحَارِبَ مُسَيْلِمَةَ بْنَ حَبِيبِ
الْكَذَّابِ وَتَأْخُذَ مِنْهُ الْيَمَامَةَ ، وَلَكِنْ قَوْمَهَا تَقَاعَسُوا عَنْ ذَلِكَ
حِينَ سَمِعُوا بِشِدَّةِ مُسَيْلِمَةَ وَقُوَّةِ بَاسِهِ ، وَقَدْ اسْتَفْجَلَ أَمْرُهُ ،

وعظمَ خطرُهُ ، فهابوه وخافوا لقاءَهُ ، فقالت لهم كعادَتِها
في السَّجْع : عليكم باليَمَامَةِ ، دُفُّوا دَفِيفَ الحَمَامَةِ ، فإنَّها
غزوةٌ صَرَّامَةٌ لا تُلحَقُكم بعدها ملامَةٌ.

فتشجعَ القومُ ، وتحمسوا واستعدَّوا للقتالِ ، ومن جهةٍ
أخرى لم يكذُ مُسَيْلِمَةُ يسمعُ بِمَقْدَمِها لحربِهِ حتَّى خاف منها ،
فبعثَ إليها يعرضُ عليها الصلحَ ، ويضمنُ لها أن يعطيها
نصفَ الأرضِ الذي كان لقريشٍ فيما كان يزعم لو أنَّها
عَدَلَتْ.

سجاحُ ومُسيْلِمَةُ الكذابُ :

ثم راسلَ مُسَيْلِمَةُ سِجَاحَ وطلبَ منها أن يجتمعا ومع كلِّ
واحدٍ منهما طائفةٌ من قومه .

فوافقتُ سِجَاحُ على ذلك وكان اللقاءُ بينهما في خِمْيةٍ
كان مُسَيْلِمَةُ قد أعدَّها لذلك ، فعرضَ عليها نصفَ
الأرضِ ، فقبِلَتْ منه ذلك ، وكلُّ واحدٍ منهما يعلمُ أنَّ الآخرَ
كذابٌ والكذابُ من شأنِهِ الجبنُ والخوفُ ، وعدمُ الثِّقةِ
بِالآخرِ ، لذلك خشي كلُّ منهما صاحِبَهُ بادئَ الأمرِ ثم

اصطلحنا على الكذب والغش ، والدجل والاحتيال ، وقال
كلُّ منهما للآخر كلاماً فيه الكذب والاضطراب ، وعدم
الأمن والثقة والاتزان ، ومن ذلك قولُ مُسَيْلِمَةَ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ
سَمِعَ ، وأطمعهُ بالخير إذا طمع ، ولا يزالُ أمرُهُ في كلِّ ما
يسرُّ مجتمعٌ .

راكم ربُّكم فحياكم ، ومن وحشته أخلاقكم ، ويومُ
دينه أنبجكم فأحياكم . علينا من صلواتِ معشرِ أبرارٍ لا أشقياءَ
ولا فُجَّارٍ ، يقومون الليل ، ويصومون النهار ، لربِّكمُ الكبارُ ،
رب الغيوم والأمطار .

وقال أيضاً :

لَمَّا رَأَيْتُ وُجُوهَهُمْ حَسُنَتْ ، وَأَبْشَارُهُمْ صَفَتْ ،
وَأَيْدِيَهُمْ طَفَلَتْ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : لَا النِّسَاءَ تَأْتُونَ ، وَلَا الْخَمْرَ
تَشْرَبُونَ ، وَلَكِنَّكُمْ مَعْشَرَ أَبْرَارٍ تَصُومُونَ ، فَسُبْحَانَ اللهِ إِذَا
جَاءَتِ الْحَيَاةُ كَيْفَ تَحْيُونَ ، وَإِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ كَيْفَ تَرْقُونَ ،
فَلَوْ أَنَّهَا حَبَّةُ خَرْدَلَةٍ لَقَامَ عَلَيْهَا شَهِيدٌ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ ،

ولأكثرُ الناسِ في الثبورِ ... إلى غير ذلك من الأكاذيبِ
والتفاهاتِ .

ويُحكى أن مسيلمة لما خلا بسجاح سألها ماذا يوحى
إليها ..؟ وهو يعلم أنها لم يوحَ إليها شيء ، كما أنه لم يُوحَ
إليه شيء أيضاً ، وأنها كذابةٌ مفتريةٌ مثله .

فقالت : وهل يكونُ النساءُ يبتدئنَ ...؟ بل أنتَ ماذا
أوحى إليك ...؟

فقال : ألم ترَ إلى ربكِ كيف فعل بالحبلى أخرج منها
نسمةً تسعى ، من بين صفاقٍ وحشا .

قالت : وماذا ...؟

قال : إن الله خلق للنساء أفرأجاً ، وجعل الرجالَ لهنَّ
أزواجاً ، فنولجُ فيهنَّ قعساً إيلاجاً ، ثم نخرجُها إذا نشاءُ
إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً .

فقالتُ : أشهدُ إنك لني .

فقال لها : هل لك أن أتزوجك وأكلَ بقومي وقومك
العربَ ...؟

قالت : نعم .

ثم اتفقا على الزواج ، فأقامت عنده ثلاثة أيام ثم رجعت إلى قومها ، فقالوا لها : ما أصدقك^(١) .

فقالت : لم يصدقني شيئاً .

فقالوا : إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت إليه تساله صداقاً .

فقال لها : أرسلي إليّ مؤذنك .

فبعثته إليه ، فقال له : ناد في قومك أن مُسيلمَةُ بنِ حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمدٌ ، وهما صلاةُ الفجر ، وصلاةُ العشاء ، وهاتان الصلاتان أثقلُ الصلوات على المنافقين ، لذلك اختارهما مُسيلمَةُ فأسقطتهما ، وذلك دليلٌ على كذبه ونفاقه .

فوافقت هي وقومها على هذا الصداق ، ورجعت إلى بلادها ، وذلك حين بلغها مسيرُ خالدٍ رضي الله عنه إلى اليمامة لقتال مُسيلمَةَ ... كما سيأتي بيأته في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) الصداق : المهر ، وصداق المرأة مهرها ، أي ما الذي جعله لك صداقاً ... ؟

خالد ومالكُ بنُ نويرة

لما فرغ خالدٌ عليه السلام من أمرِ طليحةَ الأسدي ، وقضى على حركتهِ وأنصاره وفرضَ عليهم العودةَ إلى الإسلامِ بعد أن قتلَ مَنْ قُتِلَ ، وأسرَ مِنْ أسَرَ ، توجهَ فوراً إلى بني يربوعَ وعليهم مالكُ بنُ نويرةَ اليربوعيُّ التميميُّ الذي كان قد صانعَ سجاح ، واتفق معها على قتالِ خالدٍ من جهةٍ ، وقال مُسيلمةُ من جهةٍ أخرى فلما اتصلتْ سجاحُ بمُسيلمةَ الكذابِ وتزوجتهُ اعتبر مالكُ بنُ نويرةَ هذا العملَ نقضاً لاتفاقهِ معها على قتالِ مُسيلمةَ ، كما أن القبائلَ المتحالفةَ معها نقموا عليها لخيانتها لهم ، ولعملها لمصلحتها الخاصةِ ، خاصةً وقد قبضتْ من مُسيلمةَ نصفَ خراجِ أرضهِ ، ثم رحلتْ إلى بلادها .

لذلك ندِم مالكُ بنُ نويرةَ على ما فعل من مصانعتها ، وجعل يلومُ نفسهُ على اتفاقهِ معها ، وكان قد نزل بمكان يقالُ له (البطاح) فتوجه إليه خالدٌ بجنوده وتخلّفتْ عنه

الأنصارُ وقالوا : إنا قد قضينا ما أَمَرَنَا به الصديقُ ، ولن نذهبَ إلى مكانٍ إلا بأمرِهِ .

فقال لهم خالدٌ رضي الله عنه : إن هذا أمرٌ لا بدَّ من فعلِهِ ، وفرصةٌ لا بُدَّ من انتهازِها ، وإنه لم يأتني فيها كتابٌ ، وأنا الأميرُ وإليَّ تردُّ الأخبارُ ، ولستُ بالذي أجبركم على المسيرِ ، وأنا قاصدُ البطاحِ ، وشدُّ على زمامِ فرسِهِ ثم أرسلهُ وانطلق من مكانهِ وقال لهم : مَنْ شاء تبعني ومن شاء رجع وليس عليه مِنَ الامرِ شيءٌ .

فتبعوه جميعاً ولم يتخلفَ منهم أحدٌ حتى وصلوا معه البطاحَ حيثُ مالِكُ بنُ نويرةٍ معسكرٌ هناك . فجاء أمراءُ بني تميم إلى خالدٍ يستقبلونه مرحبين ، يقدمون إليه الولاء والطاعة ، ويؤدُّون إليه زكاةَ أموالِهِمْ ، إلا ما كان من مالِكِ بنِ نويرةٍ الذي بقي متحيراً في أمرِهِ ، متحياً عن الناسِ يصدُّهُمْ عن السبيلِ ، ويمنعهم من أداءِ الزكاةِ ، فانقضَّ عليه جنودُ المسلمين فأسروه وجنوده وقادوهم إلى القائدِ خالدٍ الذي أخذ يؤنبهم ويلومهم على الخروجِ عن طاعةِ الخليفةِ أبي بكرٍ ،

ومناصبِ الحربِ للمسلمين ومنعهم من أداء الزكاة ، والتفريقِ
بينها وبين الصلاة .

واختلف أفرادُ سرية خالدٍ فيهم ، فقال أبو قتادة الحارث
ابنُ ربعي الأنصاري : إنهم أقاموا الصلاة .

وقال آخرون : إنهم لم يؤذنوا ، ولم يصلوا ، وما
سمعوا لهم أذاناً ، ومارأوا منهم صلاةً .

وبات الأسارى في كبولهم ، وكانت الليلة شديدة
البرودة ، فنادى بعضُ الجنود : أيها المسلمون ، أدفئوا أسراكم ،
فظنَّ القومُ أنه يريدُ القتلَ ، فقتلوه جميعاً ، وقتل ضرارُ بنُ
الأزورِ مالك بنَ نيرة ، واصطفى خالدٌ لنفسه امرأةً مالهك
وكانت جميلةً ، يقال لها أم تميم ابنةُ المنهال ، فلما انقضتْ
عدتها دخل بها ، وليس كما يقولُ البعضُ إنه دخل بها فوراً
وقبل انقضاءِ عدتها ، فهذا كلام باطلٌ لا يُعَوَّلُ عليه ، وليس
له أساسٌ من الصحة ، ولا مُستندٌ يوثقُ به ، بل هو كلامٌ
أطلقه البعضُ للإساءةِ لسيفِ الله والتشهيرِ به .

ويروى أن خالداً دعا مالك بن نويرة وأتبه على ما صدر منه من مصانعة سجاج ومتابعتها على بدعتها وضلالها ، وعلى منعه الزكاة ، والوقوف في وجه من أراد أداءها ومنعه من الذهاب إلى الخليفة أبي بكر ، وقال له وهو يوتخه : ألم تعلم أن الزكاة قرينة الصلاة ... ؟

فقال مالك : إن صاحبكم كان يزعم ذلك .

فقال خالد : أهو صاحبنا وليس بصاحبك ... !!

ثم دعا ضرار بن الأزور وقال له : يا ضرار اضرب عنقك ، فضرها ثم تزوج امرأته بعد أن قضت عدتها .

فاحتج عليه أبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخاصمه في ذلك ، فتقاولا حتى علت أصواتهما ، وكاد الشر يقع بينهما ، وكان لكل من خالد والحارث رأيته ودليله ، فدليل أبي قتادة أن قوم مالك أقاموا الصلاة ، وهذا يعني أنهم باقون على إسلامهم غير كفار ولا مرتدين ، وعلى هذا فهم معصومو الدم لا يجوز قتلهم ، لقول النبي ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ،

والتارك لدينه المفارق للجماعة^(١) ودليل خالد مبني على شهادة مَنْ لم يسمع أذاناً ، ولم يرَ منهم صلاةً ، وبناءً على هذا فهم مرتدّون ، مارقون من الدين ، تاركون للصلاة ، وتارك الصلاة عمداً بلا عذر شرعي كافرٌ يقتلُ بكفره ، فإن ناصبَ المسلمين القتال وكان له جيشٌ وشوكةٌ قوتلَ قتال الكافرين ، قال الله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمانَ لهم لعلهم ينتهون)^(٢).

والذي يشفعُ لخالدٍ ويرثه من دمِ الأسرى التباسُ الأمر حين اضطربتْ شهادةُ المسلمين من جهةٍ ، وشهادةُ أبي قتادة من جهةٍ أخرى ، وكذلك حين سمع القومُ مناديَ المسلمين ينادي : أدفئوا أسراكم ، فظنوا أنه يريدُ القتلَ لا سيما أن الحالةَ حالةُ حربٍ حيثُ يغتفرُ فيها الخطأُ ، وقد سبق لخالد عليه السلام أن التبسَ عليه الأمرُ حين بعثه النبي ﷺ إلى بني جذيمة فقتل

(١) متفق عليه .

(٢) الأيتان ١١ — ١٢ من سورة التوبة .

الأسرى الذين قالوا حين رأوا خيولَ خالدٍ صباناً ... صباناً
ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا كما سيأتي إن شاء الله
تعالى .

شكوى مُتَمِّم بنِ نَويرةَ عند أبي بكرٍ الصديق :

بعد خلاف أبي قتادةَ مع خالدٍ رضي الله عنهما ، ذهب
أبو قتادةَ إلى المدينة ليُشكو خالداً إلى الخليفةِ أبي بكرٍ فقَصَّ
عليه خبرَ خالدٍ وما فعلَ بمالكِ بنِ نَويرةَ وقومِهِ ، وكان عنده
عمرٌ رضي الله عنه لا يغادرُ مجلسَه أبداً ، فلم يكذُ عمرُ يسمعُ شهادةَ
أبي قتادةَ في خالدٍ حتى قام وقال لأبي بكرٍ : اعزلهُ ياخليفةَ
رسولِ الله ﷺ ، فإن في سيفِهِ رهقاً ، يريدُ أن فيه تسرعاً وطيشاً
قد ينعكسان سلبياً على سلامةِ المقاتلين المسلمين .

فقال أبو بكرٍ : لا أَشِيمُ ^(١) سيفاً سلَّه اللهُ على الكفارِ
والمنافقين .

وفي هذه اللحظاتِ والنقاشِ محتدمٌ بين عملاقي الإسلام أبي
بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما إذ قدِمَ مُتَمِّمُ بنُ نَويرةَ أخو مالِكِ

^(١) لا أَشِيمُ : لا أغمد .

وقد قطع المفاوز البعيدة وهو حزينٌ على مقتل أخيه مالكٍ ،
لا يمرُّ بقبرٍ إلا ويعتقدُ أنه قبرُ مالكٍ ، حتى انتهى إلى أبي بكرٍ
فاستأذن بالدخول عليه ، فأذن له ، فدخل عليه وجعل يشكو
إليه ما صنع خالدٌ بأخيه وقومه ، وذكر أمامه أبياتاً رقيقةً تثيرُ
المشاعرَ الإنسانية ، وتبعثُ على الأسى والألم ، فقال شاكياً
ومتوجعاً :

وكنا كند ما بي جُدِيمةُ بُرْهةُ	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير ما حيناً وقبلنا	أباد الناي قوم كسرى وتُبعا
فلما تفرقنا كافي ومالكاً	لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وقال يُبَيِّتُ آلامَهُ ، ويصفُ أحزانه ومُصابَهُ :

لقد لامني عند العبور على البكى	رفيقي لتدراف الدموع السوافك
وقال أتبكي كلَّ قسِرٍ رأيتهُ	لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك ^(١)
فقلتُ له إن الأسى يبعثُ الأسى	فدعني فهذا كله قبرُ مالك

(١) ثوى : أقام ، والمراد هنا القبر ، واللوى : مادقٌ من الرمل ، والدكادك : الرمل اللين .

فَرَّقَ لَهُ الصَّدِيقُ ، وَتَأَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَدَّى لَهُ دِيَةَ أَخِيهِ مَالِكٍ
مِنْ مَالِهِ الْخَاصِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَمْرٌ مُصِرّاً عَلَى رَأْيِهِ بِشَانِ خَالِدٍ ، وَيَحْرُضُ
الْخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ وَيُحِثُّهُ عَلَى عَزْلِهِ عَنِ الْإِمَارَةِ وَيَقُولُ لَهُ : اعْزِلْهُ ،
فَإِنْ فِي سَيْفِهِ لِرَهْقًا ، حَتَّى بَعَثَ الصَّدِيقُ يَسْتَدْعِي خَالِدًا إِلَى
الْمَدِينَةِ .

فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ لَبَسَ دَرْعَهُ الَّتِي تَرَاكُمَ عَلَيْهَا الصُّدُءُ مِنْ
كَثْرَةِ الدَّمَاءِ ، وَغَرَزَ فِي عِمَامَتِهِ السَّهَامَ الْمَضْمُحَةَ بِدَمَاءِ الْقَتْلَى .
فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ تَلَقَّاهُ عَمْرٌ فَانْتَزَعَ السَّهَامَ مِنْ عِمَامَتِهِ
فَكَسَرَهَا وَقَالَ لَهُ : أُرِيَاءَ قَتَلْتَ امْرَأً مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَيَّ
امْرَأَتِهِ ... وَاللَّهِ لَأَرْجُمَنَّكَ بِالْجَنَادِلِ ^(١) .

كُلُّ هَذَا وَخَالِدٌ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ لَكِنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ أَبُو
بَكْرٍ قَدْ تَأَثَّرَ بِرَأْيِ عَمْرٍ وَمَالَ إِلَيْهِ ، فَدَنَا مِنْهُ ، وَأَخَذَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ
وَيَسْتَرْضِيهِ وَيَسْتَغْفِرُ حَتَّى عَفَا عَنْهُ وَقَبِلَ اعْتِذَارَهُ ، وَتَجَاوَزَ
عَنْهُ مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنْ خَطِئٍ فِي الْاجْتِهَادِ ، وَأَدَّى دِيَةَ مَالِكِ بْنِ

(١) الجنادل : الحجارة .

نورية لأخيه متمم ليدل على رضاه عن خالد وقبوله اعتذاره ،
وثبتته على إمارة الجيش .

هذا ... وقد فعل الصديق ﷺ فعَلَ رسول الله ﷺ من
قبلُ حينَ بعثَ خالدًا إلى بني جذيمة الذين قالوا : صباُنا ...
صباُنا ، وهم يريدون أن يقولوا : أسلمنا ، فقتلهم خالد ،
فلما بلغ خبرهم النبي ﷺ قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع
خالدُ ، وأدى إلى بني جذيمة ديات القتلى ، ومع هذا لم
يعزل خالدًا عن إمرة الجيش ، وكذلك فعل أبو بكر
الصديق ﷺ ، وليس هذا رأياً رآه ، أو اجتهاداً اجتهدهُ ، وإنما
تبع فيه رسول الله ﷺ ... والله أعلم .

معركة اليمامة

مدخل إلى فتنة مسيلمة الكذاب :

ومن المرتدين عن الإسلام بنو حنيفة ، وعلى رأسهم
مُسَيْلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْكَذَّابُ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي عَهْدِ
النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

مِنْ مُسَيْلَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ :
فَإِنَّ الْأَرْضَ نَصْفُهَا لِي ، وَنَصْفُهَا لَكَ وَلَكِنَّ قَرِيشًا قَوْمٌ
يَعْتَدُونَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَى مُسَيْلَمَةَ
الْكَذَّابِ ، أَمَا بَعْدُ :

فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ .

وبعد وفاة رسول الله ﷺ استفحل أمرُ مُسَيْلَمَةَ واشتدَّ
خطَرُهُ ، فَرَأَى الْخَلِيفَةُ الصَّادِقُ ﷺ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ وَعَلَى
أَصْحَابِهِ مِنْ أَهْلِ الرَّدَةِ وَالْدَجْلِ وَالْإِفْتِرَاءِ ، وَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ ،
وَصَدَّ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنَّهُ يَجِبُ اسْتِصْلَاهُمْ

والقضاء على دعوتهم الباطلة ، وعقيدتهم الفاسدة ، لأنهم
أربابُ كفرٍ ، وأئمةُ ضلالٍ ، ودعاةُ شروقتين ، فلو تركوا
وشأنهم دون عقابٍ أو استتصالٍ لاستفحل أمرهم ، وعمَّ
خطرهم وأصبحوا عاملاً مشجعاً لغيرهم على الارتدادِ عن
الإسلام ، والتمردِ على أحكامِهِ ، والاستهزاءِ بتعاليمِهِ .

ولهذا استعمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه معهم الحزمَ والشدةَ
والصرامةَ ، ولم يستعمل العفو والرحمةَ والتسامحَ إلا مع
الذين تابوا منهم ، وثابوا إلى رشدِهِم ، واعترفوا بخطئِهِم ،
ورجعوا إلى الإسلامِ ، ومن أصرَّ منهم على كفرِهِ وعنادِهِ تَرَكَ
أمرَهُ إلى السيفِ .

وكان أبو بكر قد وَجَّهَ إلى كلِّ قومٍ من المرتدين جيشاً ،
وأمرَ عليه قائداً ، فبعث إلى مُسَيْلَمَةَ الكذابِ في اليمامةِ
عِكْرِمَةَ بنَ أبي جهل ، وشرحبيلَ بنَ حسنة ، فلم يستطيعا
الصمودَ أمامَ جيشِ مُسَيْلَمَةَ الذي كان يشكلُ نحواً من أربعين
ألفاً من المقاتلين الأشداءِ ، فكانا يضطبران أحياناً إلى
الانسحابِ من أرضِ المعركةِ ويرسلان إلى أبي بكر يخبرانه

بأنباء المعركة ، ويطلبان منه أن يُمدَّهما بعددٍ من الفرسان
للقضاء على جيش المرتدين .

خالد في طريقه إلى اليمامة :

ما إن وصل أبا بكر كتابُ عِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ
وشرحيل بنِ حسنةَ حتى كتب إلى خالدٍ أن يتوجَّه فوراً إلى
اليمامة لنجدتهما والقضاء على فتنةِ مُسيلمةَ الكذاب .

ومضى خالدٌ ﷺ يطوي البيداء المترامية ، ويقطعُ المفاوزَ
البعيدةَ يقودُ جنوداً مُلئتْ قلوبُهُم بالعزة ، وسرت في نفوسِهِم
روحُ الإخلاص والإيمان وكلُّهم أملٌ بنصرِ الله وتأييده
لردِّع الظالم ، وإنصافِ المظلوم ، وإحقاقِ الحق ، وإزهاقِ
الباطل ، والقضاء على آخرِ معقلٍ من معاقلِ أهل الردة
والكفر .

وانطلقوا لا يمرون بأحدٍ من المرتدين إلا نكلوا به
وأنزلوا فيه العقابَ الأليم حتى انتهوا إلى جيشِ مسيلمة الذي
كان قد كمن في مكان يقال له : (عقرباء) حين سمع بمقدم

جيش المسلمين إليه بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد .

وكان مُسيلمَةُ الكذابُ يعتمدُ على اثنين من أشدَّ رجالِه شجاعةً ، وأمهرِ فرسانِه قيادةً وهما: المحكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ ، والرجالُ بنُ عَنفَوَةَ ، وكان الرجلُ صديقاً قديماً لمُسيلمَةَ ، ومفترياً كذاباً على شاكلتِه ، وهو الذي شَهِدَ له أمامَ رسولِ الله ﷺ بالنبوةَ كذباً وزوراً وهتاناً، وشَهِدَ أمامَ قومِه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقولُ بأنه قد أشركَ معه مُسيلمَةُ بنُ حبيبٍ في النبوةِ ، وقاسمَهُ نصفَ الأرضِ ، وهو الذي أَضَلَّ أَهْلَ الإمامَةِ وأَفَنَعَهُم بتصديقِ مُسيلمَةَ وأتباعِه .

وكان قد سبق له أن وفدَ إلى النبي ﷺ وقرأَ عليه سورة البقرة ، وبعد وفاةِ النبي ﷺ قَدِمَ على أبي بكرٍ الصديقِ وأظهرَ تَمَسُّكُهُ بالإسلامِ وثبائَتُهُ عليه ، وبغضُهُ للمرتدين ، فصَدَّقَهُ أبو بكرٍ ، وبعثه إلى أهلِ الإمامَةِ يدعوهم إلى الله تعالى ، ويأمرُهم بالثباتِ على الإسلامِ .

ولكن اللعين عمل بعكس ما أمره أبو بكر ، فأظهر كفره وعداوته للإسلام ، وظاهر مسيلمة وشهد له بالنبوة ، وأمر الناس باتباعه ، وراح يقاتل جيش المسلمين .

ولعل النبي ﷺ يقصده بقوله : (إن فيكم لرجلاً ضرسته في النار أعظم من أحد)^(١) .

يقول أبو هريرة رضي الله عنه : كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهطٍ معنا الرجالُ بنُ عَنفوة فقال : إن فيكم لرجلاً ضرسته في النار أعظم من أحدٍ ، فهلك القومُ وبقيتُ أنا والرجالُ ، وكنتُ متخوفاً لها ، حتى خرج الرجالُ مع مسيلمة وشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة .

^(١) يريد جبل أحد ، انظر البداية والنهاية لابن كثير .

اللقاء الأول

والتقى الجيشان ، جيشُ النور والإيمان ، وجيشُ الكفر والظلام ، وذلك في مكان يقالُ له (عقرباء) وكلُّ فريقٍ متحفّزٌ للآخر ، ومتيقّظٌ أشدَّ ما يكونُ التيقّظُ والحذرُ ، وهما على أهبة الاستعداد أن ينقضَّ كلٌّ على خصمه ، وقد عبَّأ الفريقان قواهما ، ووزَّعا فرسائهما فجعل خالدٌ عليه السلام على مقدمة الجيشِ شرحبيلَ بنَ حسنة ، وعلى المجنبتين زيدَ بنَ الخطاب وأبا حذيفةَ بنَ عتبة ، وفي الليل مرَّ على المقدمة مُجاعةٌ بنُ مرارةٍ على رأسِ عددٍ من الفرسان يُقدِّرُ بنحوٍ من أربعين أو ستين فارساً الذي قدِمَ لأخذِ ثأرٍ له في بني تميم وبني عامر ، فبينما هو راجعٌ إلى قومه بعد تحقيقِ هدفِهِ مرَّ بمقدمة جيشِ المسلمين فانقضوا عليه فأسروه ومَن معه ، وقلادوهم إلى القائدِ خالدٍ ، فجعلوا يعتذرون إليه فلم يصدقهم وأمرَ بضربِ أعناقِهِم جميعاً سوى مجاعةَ بنِ مرارةٍ فقد استبقاه لعلِّهِ بالحرِبِ والمكِدةِ ، وكان سيداً مطاعاً في بني حنيفة ، وشريفاً

ويروى أن خالداً قال لهم : ماذا تقولون يا بني حنيفة..؟
 قالوا : نقول منّا نبيّ ومنكم نبيّ ، فقتلهم جميعاً إلا واحداً
 واسمهُ سارية ، فقال له : أيها الرجل ، إن كنت تريدُ عدواً
 بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل يقصدُ جماعةَ بنِ
 مرارة فاستبقاه خالدٌ وتركهُ مقيداً ، وأوصى به خيراً .

الحالة النفسية عند الجيشين :

اصطفَ الجيشان ، وبدأت ساعة الصفر ، وجعل كلُّ
 قائدٍ يشجّع فرسانه على القتالِ وعدمِ الهروبِ أمامِ خصمه .
 هذا خالدٌ ﷺ يقفُ أمام فرسانه يشجعهم ويحرضهم
 على القتالِ ويذكرهم بأنّها إحدى الحُسنيين : إما النصرُ
 ورفعُ لواءِ الإسلامِ عالياً خفاقاً ، وإمّا الشهادةُ في سبيلِ الله
 ونيلُ رضوانه ، ولا يزالُ خالدٌ يذكرهم بواجبهم نحو دينهم
 ويلهبُ حماسهم ، ويحركُ مشاعرهم حتى جعل من كل واحدٍ
 منهم جيشاً بكامله لو وقفتُ أمامهُ جبالُ الدنيا لأزالتها ، أو
 بركاناً ثائراً يوشكُ أن يحرقَ ويبيدَ كلَّ خصومه وأعدائِهِ ،
 وذلك لإيمانهم بعدالةِ قضيتهم، وحقّهم في الدفاع عن

عقيدتهم ، وإعادة عزة دينهم ، والانتقام ممن حاول أن يلوثها أو يسيء إليها ، (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين الدين كله ولو كره المشركون)^(١) .

(والله العزة ورسوله وللمؤمنين)^(٢) .

ومن كان مؤمناً بعدالة قضيته ، وحقه في القتال دفاعاً عنها ، فإن كل قوى البغي والضلال لن تقدر أن تُسكته أو تقف في وجهه ، أو تُثني من عزيمته ومضائه لأن الحق معه ، ومن كان الحق معه كان قوياً ولو وقفت في وجهه الدنيا بأسرها ، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور)^(٣) .

(١) الآيات ٣٢ — ٣٣ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٨ من سورة المنافقون .

(٣) الآيات ٤٠ — ٤١ من سورة الحج .

وقام مُسيلمَةُ بدورِهِ يشجَعُ جيشَهُ ويحثُّهُ على القتال ويقولُ: اليومَ يومُ الغيرةِ ، اليومَ إنْ هُزِمْتُمْ تُؤَخَذُ النساءُ سبياتٍ، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا^(١) نساءكم . وهو يقولُ هذا الكلامَ ، ، يدركُ كما يدركُ قومُهُ جميعاً أنهم يقاتلون في سبيلِ قضيةٍ خاسرةٍ ، ويدافعون عن دعوةٍ باطلةٍ لا تقومُ على أساسٍ ثابتٍ أو بناءٍ سليمٍ ، وهُمُ الذين ارتدّوا على أديبارِهِم من بعد ما تبَيَّنَ لَهُمُ الهدى الشيطانُ سَوَّلَ لَهُم وأَملى لَهُم^(٢) .

(ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريدُ الله أن يعذبَهم بها في الدنيا وتزَهَقَ أَنفُسُهُم وهم كافرون)^(٣) ومثلهم (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين . فكان عاقبَتُهُما أَنهما في النارِ خالدين فيها وذلك جزاءُ الظالمين)^(٤) .

(١) امنعوا نساءكم : احموهنَّ ودافعوا عنهنَّ .

(٢) الآية ٢٥ من سورة محمد ﷺ .

(٣) الآية ٨٥ من سورة التوبة .

(٤) الآيتان ١٦ — ١٧ من سورة الحشر .

(وإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ اتَّ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(١) .

(يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)^(٢) .
لَقَدْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْعَمَلَ وَالْكَفَرَ ، وَزَخَرَ لَهُمُ الْقَوْلَ ، وَوَرَّطَهُمْ فِي رَهَانٍ خَاسِرٍ ، وَأَوْقَعَهُمْ فِي قِتَالٍ غَيْرِ مُتَكَافِئٍ ، وَعَمَّا قَرِيبٍ سَوْفَ يَخْذُلُهُمْ وَيَتَخَلَّى عَنْهُمْ وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ ضَيْقًا وَحَرَجًا ، وَلَنْ يَغْنِي عَنْهُمْ مَا جَمَعُوا مِنْ قُوَّةٍ ، وَمَا جَنَّدُوا مِنْ شَيَاطِينٍ ، وَمَا رَوَّجُوا مِنْ أَكَاذِيبٍ ، وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ أَرَاخِيفٍ .

وَلَنْ يَغْنِي عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ وَلَنْ تَنْفَعَهُمْ شِدَّتُهُمْ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ (يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ)^(٣) يَسْتَغِيثُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بَيْنَ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ يُعَذِّبُونَ ، يَقُولُونَ (رَبَّنَا

^(١) الآية ٤٨ من سورة الأنفال .

^(٢) الآية ١٢٠ من سورة النساء .

^(٣) الآية ٦٦ من سورة الأحزاب .

إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ
مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا^(١) .

إنه مشهدٌ من مشاهدِ يومِ القيامةِ بما فيه هولٌ، وبما فيه مر
عذاب ، وبما فيه من ندمٍ، وبما فيه من تَحَسُّرٍ وأسى .

إنه مشهدُ الندمِ والأسفِ ، مشهدُ الألمِ والحزنِ ، مشهدُ
التبرُّؤِ والتعادي والتخاصمِ بينِ التابعين والمتبوعين ، بينِ
الضالِّين والمُضِلِّين ، بينِ الرؤساءِ والمرؤوسين ، (إذ تبرأ الذين
اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ .
وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا
كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ
مِنَ النَّارِ)^(٢) .

يتمنى الكافرون لو يعودون إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم ،
وليصالحوا شأنهم مع ربهم ، وليثأروا لأنفسهم من زعمائهم
الذين أضلّوهم ، وعن الهوى صرفوهم ، وعن الصراطِ
المستقيم منعوهم ، وإنها لاميةٌ ضائعةٌ ، إنها صرخةٌ في وادٍ لا

(٢) الآيات ٦٧ — ٦٨ من سورة الأحزاب .

(٢) الآيات ١٦٦ — ١٦٧ من سورة البقرة .

موضع لها ولا استجابة فقد فات الأوان ، وقُضي الأمرُ وحقَّ عليهم العذابُ . (وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْسَنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ . فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(١) .

هذه هي الحالة النفسية الاليمة ، والعذابُ الجسديُّ الدائمُ اللذان يقاسيهما الكافرون والمنافقون ، وما يعانون من ندمٍ لا ذعٍ ، وأسفٍ قاتلٍ ، وألمٍ مُمضٍ ، وشتانٍ بين حالة الكافرين وحالة المؤمنين فأما المؤمنون (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ فواكهٌ وهم مُكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ

^(١) الآيات ٩١ إلى ١٠٢ من سورة الشعراء .

ولا هم عنها يُنْزَفُونَ وعندهم قاصراتُ الطرفِ عَيْنٌ . كأنهنَّ
يُبْضُرُ مَكْنُونٌ^(١) .

(إن أصحابَ الجنةِ اليومَ في شُغْلٍ فاكهون . هم وأزواجهم
في ظلالٍ على الأرائكِ متكئون لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يَدْعَوْنَ .
سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم)^(٢) .

(جناتٌ عدنٌ يدخلونها يُحَلَّلُونَ فيها من أساورٍ من
ذهبٍ ولؤلؤٍ ولباسُهُمْ فيها حريرٌ . وقالوا الحمدُ لله الذي
أذهبَ عَنَّا الحزنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شكورٌ . الذي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
من فضله لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لغوبٌ)^(٣) .

يُنَادُونَ وهم في الجنةِ مُرَفَّهون مُنْعَمون : (يعبادُ لا
خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين ادخلوا الجنةَ أنتم وأزواجكم تُخْبِرُونَ يُطَافُ عليهم
بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتَلَذُّ
الأعينُ وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنةُ التي أوردتموها بما

(١) الآيات ٤١ إلى ٤٩ من سورة الصافات .

(٢) الآيات ٥٥ إلى ٥٨ من سورة يس .

(٣) الآيات ٣٣ إلى ٣٥ من سورة فاطر .

كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون^(١) صدق الله العظيم .

بدء القتال :

تقدم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأخذ المسلمون يتسابقون للاستبسال في سبيل الله ، وفي سبيل قضيتهم العادلة والمقدسة .

وقد حمل راية المهاجرين سالم مولى أبي حذيفة ، وحمل راية الأنصار ثابت بن قيس .

وأما جيش المرتدين فقد تقدم بقيادة مسيلمة بن حبيب الكذاب الذي جعل على مجنبي جيشه المحكم بن الطفيل ، والرجال بن عنفوة ، وكانا من أشد فرسانه مهارة ، وأقواهم شكيمة ، وأدراهم بفن الحرب والتخطيط للقتال وقيادة المعارك كما كان يعتمد عليهما في كل شيء .

والتقى الجيشان ، وبدأت المعركة قوية حامية ضارية أبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً ، وثبتوا في وجه أعدائهم ثباتاً

^(١) الآيات ٦٨ إلى ٧٣ من سورة الزخرف .

مُشْرِقاً، وضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء ، والشجاعة والمضاء وكأن كل فرد منهم يشكل جيشاً بكامله سجلها لهم التاريخ بأحرفٍ من نور ، ويكفيهم فضلاً أن الله تبارك وتعالى وصفهم في كتابه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد . وخلد ذكرهم بين ثنايا صفحاته ، قال الله تعالى :

(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفارِ رُحَمَاءُ بينهم تَراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجبُ الزُّراعَ ليغيظَ بهم الكفار وعدَّ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا ^(١) صدق الله العظيم .

وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين تربوا على مائدة القرآن ، ونهلوا منه وتأثروا به ، وتفاعلوا معه ، وعاشوا معه

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح .

بالليل والنهار ، وجعلوه غذاءً أرواحهم ، وشفاءً صديريهم ،
وقوت يومهم ، والتزموا أوامره ، واجتنبوا منواهية ، وطبقوا
أحكامه ، ولبسوه ظاهراً وباطناً ، وفهموا غوامضه وهم الذين
يتلون صباح مساءً قولَ الله تعالى : (انفروا خفافاً وثقلاً
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيلِ الله ذلكم خيرٌ لكم إن
كنتم تعلمون)^(١) .

فلا غرو إذن لمن كان حاله كذلك أن يكونَ بركاناً هلدراً
يدمرُ كل شيءٍ بأمرِ ربه ، أو سيلاً جارفاً لا يتركُ أمامه شراً
أو باطلاً إلا أزاله ، وهكذا كان المؤمنون في كلِّ زمانٍ
ومكانٍ .

وسلَّ حُنيئاً وسلَّ بدرأً وسلَّ أحداً فصولٌ حَتَفَ لهم أدهى من الوخم^(٢)
شاكي السلاح لهم سيما تميزهم والوردُ يمتازُ بالسيما من السلم^(٣)

(١) الآية ٤١ من سورة التوبة .

(٢) الفصول : جمع فصل ، خير مبتدأ مخفوف ، أي هي فصول حَتَفَ ، ويجوز نصها على
أنها بدل من الأمكنة الثلاثة ، وهي حنين وبدر وأحد ، وأدهى : أشد داهية . والوخم :
الوباء والملاك .

(٣) شاكي : من الشوكة وهي الخدة والشدة ، يقال رجل شاكي السلاح : أي حادّه ،
والسلاح : آلة الحرب ، والسيما : العلامة ، والسَلَمُ : شجر له شوك يشبه شجر الورد ،

تُهدي إليك رياحُ النصرِ نشرَهُمْ فتحسب الزهرَ في الأكمام كلَّ كمي^(١)
كأنهم في ظهورِ الخيلِ بنتُ رُبا من شدةِ الحزمِ لا من شدةِ الحُزمِ^(٢)
طارَتْ قلوبُ العدا من بأسِهِم فرَقاً فما تفرقُ بين البَهم والبَهم^(٣)

ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة ، وبهاء المنظر ، وطيب الرائحة ، كما أن شجر الورد نوره أحمر غالباً ، والسلم توره أصفر .

(١) تُهدي : ترسل ، والرياح : جمع ربح ، والنصر : التأيد وقهر الأعداء ، والنشر : الرائحة الطيبة ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذي يغطي الزهر ، وخصُ الزهر في أكمامه دون غيره لأن كثيراً من النبات له أكمام ، وذلك لكونه أعظم رائحة ، وأجمل منظراً ، والكمي : الرجل الشجاع الذي يكمي جسده بالسلاح ، أي يستره .

(٢) الربا : جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض ، والحزم : ضبط الأمر وقوة النبات ، والحُزمُ : جمع حزام ، وهو ما يشد به السرج أو غيره على ظهر الدابة . يشبه الصحابة رضي الله عنهم وهم يمتطون ظهور الخيل يثبت الربا في الاستقرار والثبوت ، حتى إنهم لو تحركوا عليها ظلوا ثابتين لم ينقلعوا من ظهور الخيل ، وإنما يتحركون للطمن والانتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا إذا حركه الرياح .

(٣) طارت : اضطربت ، والبأس : الشدة والقوة ، والفرقُ : الفزع ، والبَهم يفتح الباء : أولاد الضأن وهي السخلة ، والبَهم بضمها وفتح الهاء : هو الشجاع .

صُورٌ مِنْ بَطُولَاتِ الصَّحَابَةِ

وَفِي خِصْمِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ اللَّاهِيَةِ وَالضَّارِيَةِ ، وَفَوْقَ أَرْضِ
عَقْرَبَاءَ كَانَتِ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى ، وَالْوَقْعَةُ الْعَظْمَى الَّتِي أَظْهَرَ فِيهَا
الصَّحَابَةُ بَطُولَاتٍ خَارِقَةً وَشَجَاعَةً نَادِرَةً لَمْ يَحْدَثْ مِثْلُهَا فِي دُنْيَا
النَّاسِ .

فَكَانُوا يَتَنَادُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَيَذْكُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْقُرْآنِ
الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مَا أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ وَالشَّهَدَاءِ فِي
سَبِيلِهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بَطُلَ السَّحَرِ الْيَوْمَ .
وَلَقَدْ سَجَّلَ التَّارِيخُ لِبَعْضِ الصَّحَابِ الْكَرَامِ مَوَاقِفَ
بَطُولِيَّةٍ عَجِيبَةٍ وَفَائِقَةٍ تَفُوقُ الْبَطُولَاتِ الْأَسْطُورِيَّةَ عَظْمَةً وَغَرَابَةً ،
مِنْهُمْ :

أَوَّلًا : زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ ؓ : الَّذِي انْطَلَقَ فِي أَرْضِ
الْمَعْرَكَةِ يَشْجَعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيَحْتَمُّهُمْ وَيُلْهِبُ حِمَاسَهُمْ
لِلصُّمُودِ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَالثَّبَاتِ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ وَيَقُولُ وَهُوَ
يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ الْبَتَارِ يَمِينًا وَشِمَالًا يَقْطِفُ بِهِ رُؤُوسَ أَهْلِ الْكُفْرِ

والضلال : أيها الناس ، عضّوا على أضراسيكم ، واضربوا في
عدوكم ، وامضوا قدماً .

وبينما هو في حماسه هذا يثير حماس المسلمين إذ التقى في
أرض المعركة بالرجال بن عنفوة لعنه الله فتصدى له ، وصمد
أمامه ، وناجزه قليلاً وما هي إلا لحظات حتى قضى عليه
وأرداه قتيلاً ، وبمقتله كاد وجه المعركة يتغير بعد أن كان
لصالح المرتدين في بادئ الأمر ، والجولة لهم على المسلمين
الذين هرب بعضهم فتبعهم المرتدون حتى دخلوا خيمة خالد ،
وهوا بقتل امرأته أم تميم لولا أن أجارها جماعة بن مرارة الذي
تقدّم ذكره ، وأن خالداً تركه مقيداً في خيمته ، فقال جماعة
للمرتدين : دعوها ، نعمت الحرة هذه .

وبمقتل الرجال على يد زيد بن الخطاب رضي الله عنه تغير وجه
المعركة ، ومال لصالح المسلمين ، وخسر المرتدون بمقتله فارساً
معدوداً يُحسب له حساب ، ويُعتمد عليه في النوائب
والشدائد .

وما إن عَلِمَ المرتلون بمقتلِ الرِّجَالِ حَتَّى انْثَنَتْ عِزَائِمُهُمْ ،
وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُمْ ، وانْكَسَرَتْ مَعْنَوِيَاتُهُمْ ، فِي حِينٍ ارْتَفَعَتْ
مَعْنَوِيَاتُ الْمُسْلِمِينَ ، وازدادوا شِجَاعَةً وَاسْتِبْسَالاً .

ولما قتل زيدُ بنُ الخطابِ الرَّجَالَ لعنه اللهُ أَحْسَنَ كَأَنَّهُ قَتَلَ
نِصْفَ جَيْشِ الْمُرْتَدِينَ ، وراح يَبْحَثُ عَنْ فَارِسٍ آخَرَ يَقْتُلُهُ
وَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ بَعْدَ الْآنَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يَهْزِمَهُمُ اللهُ ، أَوْ
أَلْقَى اللهُ فَأَكَلَمَهُ بِحُجَّتِي ، فقتلَ شَهِيداً ۞ وأرضاه .

ثانياً : ثابتُ بنُ قيسٍ ۞ : الَّذِي انْطَلَقَ وَسَطَ
الْمَعْمَةِ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَتَنَادَوْنَ بِشَعَارِهِمُ الْعَظِيمِ : وَاعْمَدَاهُ ...
وَاعْمَدَاهُ حَتَّى عَانَقَتْ أَصْوَاتُهُمُ السَّمَاءَ .

فِي هَذَا الْجَوْرِ السَّاحِنِ ، وَالْمَعْرَكَةُ عَلَى أَشَدِّهَا ، الْأَرْوَاحُ
تَزْهَقُ ، وَالْمَنَايَا تَتَوَاتُ ، وَوَسَطَ صَلَاصِلَةُ السِّيُوفِ ، وَقَعْقَعَةُ
الرِّمَاحِ ، وَصَهِيلُ الْخِيُولِ ، قَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ ۞ فَتَحَنَّنَ طَ ،
وَتَكَفَّنَ ، وَحَفَرَ لِنَفْسِهِ حَفْرَةً فِي الْأَرْضِ ثَبَّتَ بِهَا قَدَمَيْهِ ، وَكَانَ
يَحْمِلُ لَوَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَلَمْ يَزَلْ ثَابِتاً فِي حَفْرَتِهِ يَقَاتِلُ جَمْعَ
الْمُرْتَدِينَ فَأَبْصَرَ مِنْ مَكَانِهِ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَرِاجِعُ ، وَكَانَ

يقاتلُ إلى جانبِ سالمٍ مولى أبي حذيفةَ ، فقال : ما هكذا كُنَّا
نقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ ، ثم نادى بأعلى صوتِهِ : اللهم إني
أبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء ، يقصدُ جيشَ المرتدين .

وأعذرُ إليك مما صنع هؤلاء — يقصدُ تراجعَ بعضِ
المسلمين .

وبينما هو في مكانه وقد ثَبَّتَ قدميه في الحفرةِ إذ أصابته
طعنةٌ سقطَ منها شهيداً مجيداً ﷺ وأرضاه .

ولقد وقعتْ لثابتٍ ﷺ بعد استشهادهِ كرامةٌ ظاهرةٌ
حفظها له التاريخُ ، وسَجَّلها بأ-تُرفٍ من نورٍ .

روي أنه حين استشهدَ كان يرتدي درعاً نفيسةً ، فمرَّ به
رجلٌ من المسلمين فأخذها عنه وهو يعتقدُ أنه يحقُّ له أن
يأخذها ، فجاء ثابتٌ ﷺ على رجلٍ من المسلمين في المنام
فقال له : إني أوصيكُ بوصيةٍ ، فإياك أن تقولَ : هذا حلْمٌ
فتضعهُ ، إني لما قُتِلْتُ أمسِ مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ
درعي ، ومثَّلُهُ في أقصى الناسِ ، وفرسُهُ يستنُّ^(١) في طولِهِ

(١) يستن : يجري في جهة واحدة .

وقد كفاً برمّة^(١) على الدرع ، وفوق البرمة رَحْلٌ ، فأتى خالدًا
فمره أن يبعثَ فيأخذها ، فإذا قدِمَتِ المدينة على خليفة
رسولِ الله ﷺ أبي بكرٍ ، فقلَّ له : إنَّ عليَّ من الدِّينِ كذا ...
وكذا فليقمَ بسداده ، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ .

فلما استيقظ الرجلُ توجَّهَ فوراً ولم يشكَّ في المنام ،
وذهب إلى القائدِ خالدٍ ﷺ فقصَّ عليه رؤياه ، فأرسل خالدٌ
مَنْ يأتي بالدرع ، فوجدوها كما وصف ثابتٌ في المنام .

ولما رجع المقاتلون المسلمون إلى المدينة قصَّ الرجلُ رؤياه
على الخليفة أبي بكرٍ ﷺ الذي صدَّقَ بها وعلم أنها رؤيا صالحةٌ
وصادقةٌ ، ثم نفَّذَ لثابتٍ وصيته .

قال المسلمون : ولا نعلم أحداً أُجيزَتْ وصيتهُ بعد موتهِ
غيرَ ثابتِ بنِ قيسٍ^(٢) ، فرضي اللهُ عنه وأرضاه ، وأسكنه
فسيح جناته .

(١) البرمة: القدر من الحجارة .

(٢) البداية والنهاية لا ين كثير .

وهو الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ، فيما روي عن أبي هريرة ؓ :

(نعم الرجلُ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شماسٍ ^(١))
ولقد بشره النبي ﷺ بالشهادة فقال له : تعيشُ حميداً ،
وتقتلُ شهيداً ، وتدخلُ الجنةَ . ^(٢)
وصدق رسولُ الله ﷺ ، فلقد حدث لثابتٍ ؓ كما
أخبره ، وهو الصادقُ المصدوقُ .

ثالثاً : سالمُ مولى أبي حذيفة ؓ : كان ؓ يحملُ لواءَ
المهاجرين ، يصولُ ويجولُ في أرضِ المعركة ، ويشجعُ
المسلمين على القتالِ ، فقال له المهاجرون : أتخشى أن نوتى
من قبلك ^(٣) ؟...

فقال : بئس حاملُ القرآن أنا إن أتيتم من قبلي .
وكان ؓ يقاتلُ إلى جانبِ ثابتِ بنِ قيسٍ ، فقال معه :
ما هكذا كنا نقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ ، ثم فعل كما فعل

^(١) رواه الترمذي .

^(٢) البداية والنهاية ، والطبقات الكبرى لابن سعد .

^(٣) نوتى من قبلك : أي من جهتك .

ثابتُ بنُ قيسٍ، فقد جعلاً معاً يحفران ، كلَّ واحدٍ منهما
يحفرُ لنفسه حفرةً في الأرضِ ثَبَّتَ بِهَا قدميه ، وبنفسِ الطريقةِ
التي استشهدَ فيها ثابتُ بنُ قيسٍ ، استشهدَ سالمُ مولى أبي
حذيفة رضي الله عنه وأرضاه .

إنه واحدٌ من الذين قال فيهم النبي ﷺ : خذوا القرآن من
أربعة :

عبدِ الله بنِ مسعودٍ ، وسالمُ مولى أبي حذيفة ، وأبي بن
كعبٍ ، ومعاذ بنِ جبلٍ .

وبعد انتهاءِ المعركةِ الخالدةِ أخذ المسلمون يبحثون عن
شهداءهم ، فوجدوا سالمًا رضي الله عنه في الترعِ الأخيرِ ، فسألهم عن
أخيه في الإسلام أبي حذيفة بنِ عتبة ، فقالوا له : لقد
استشهدَ .

فقال لهم : أضجعوني إلى جوارِهِ .

قالوا : إنه إلى جواركَ ياسالمُ ، لقد استشهدَ في نفسِ
المكانِ .

ولقد بلغ من عظمة هذا الرجل العظيم ومكانته في الإسلام أن قال عنه عملاق الإسلام عمر بن الخطاب ؓ : لو كان سالم حياً لوليتهُ الأمر من بعدي .

ولقد أجمع الصحبُ الكرام أن سالمًا من الصالحين .
فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسكنه فسيح جناته .

رابعاً : أبو حذيفة بن عتبة ؓ : الذي كان له أيضاً موقفٌ عظيمٌ ومشهودٌ ، فقد أخذ يلهبُ حماسَ المسلمين ، ويحثهم على القتالِ ويقولُ : يا أهلَ القرآن زينوا القرآن بالفعالِ ، ثم حمل على المرتدين ، وتصدَّى بمفرده لجماعةٍ كثيرةٍ منهم وقتلهم حتى أبعدهم .

وكان أبو حذيفة ؓ قد تعاهد مع أخيه في الإسلام سالم مولاه على الشهادة في سبيلِ الله ، فلم يزلُ يقاتلُ إلى جانبِهِ حتى استشهدَ في مكانِهِ وهو يرددُ نشيدَهُ الرائعُ :
(يا أهلَ القرآن ، زينوا القرآن بالفعالِ) ؓ وأرضاه ،
وأسكنه فسيح جناته .

خامساً : عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ ؓ : الذي أظهر
شجاعةً لم توصفَ ، ولم يرَ الناسُ مثلها في دنياهم .

لقد وقع بصرُهُ وهو يقاتلُ جموعَ المرتدين على رجلٍ
يخطبُ بالمرتدين ويشجعهم على قتالِ المسلمين ، فجعل عبدُ
الرحمن ؓ ينظرُ إليه فعلم أنه عدوُ الله مُحَكَّمٌ بِنُ الطُّفيلِ
الساعِدُ الأيمنُ ، والرجلُ الثاني عندَ مسيلمةَ الكذابِ بعد
الرجالِ بنِ عنفوةَ ، فرأى عبدُ الرحمن أن المعركةَ لن تَهْدأَ إلا
بمقتلِ ذلك اللعينِ ، فسَدَّدَ نحوهُ سهماً لم يخطيءَ عنقه ، وجعل
الدمُ ينزفُ منها وهو يتخبطُ بدمائه كالثورٍ المذبوحِ حتى
خرجتُ روحُهُ إلى جهنمِ وبئس المصيرُ ، وأراح الله المسلمين
بمقتله ، وتحوَّلَ وجهُ المعركةِ مرةً أخرى لصالحِ المسلمين . وبمقتله
خسرَ المرتدون قائداً آخرَ ، ضَعُفَتْ عزائمُهم مرةً أخرى ،
وانكسرتُ معنوياتُهم ، لترتفعَ معنوياتُ المسلمين الذين ضاعفوا
جهودَهم ، وحملوا على أعدائهم ، وضربوا أروعَ الأمثلةِ في
الصبرِ والشجاعةِ والثباتِ حتى فتحَ الله عليهم ، ونَصَرَهُم
نصراً مؤزراً .

وهرب المرتدون أمامهم ، والمسلمون وراءهم يتبعونهم ،
 ويضعون السيوفَ في رقابهم حتى ألجؤوهم إلى حديقةِ
 الموت... كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ، ولعلَّ
 الفضل في ذلك بعد فضلِ الله تعالى يعودُ إلى عبدِ الرحمن بنِ
 أبي بكرٍ ؓ الذي دخل على رسولِ الله ﷺ يومَ ماتَ وقد
 أسندتهُ عائشةُ رضي الله عنهما إلى صدرها ، وكان بيدِ عبدِ
 الرحمنِ سواكُ رطبٍ ، فأخذتهُ عائشةُ ، فقصته وطيشتهُ ، ثم
 دفعتُ به إلى رسولِ الله ﷺ الذي أخذه وجعل يستاكُ به ،
 ثم دعا ربَّهُ قائلاً : (اللهم في الرفيقِ الأعلى) ، وكأنَّ رسولَ
 الله ﷺ يريدُ بهذا الدعاءِ عبدَ الرحمن بنِ أبي بكرٍ ، كأنه يقول :
 اللهم مله معي في الجنة عند الرفيقِ الأعلى . والله أعلم .
 سادساً : البراءُ بنُ معرورٍ ؓ : كان البراءُ بنُ
 معرورٍ ؓ معروفاً أنه إذا كانتِ الحربُ أخذتهُ العرواءُ^(١)
 وثار كما يثورُ الأسدُ لا يصمدُ له أحدٌ لما يرى من شدةِ بأسِهِ

مروء : هـ الحى .

وشجاعته ، ولقد فعل يومئذٍ المرتدين الأفاعيل وقتل عدداً من
فرسانهم وحمله ألويتهم .

وثار المسلمون، وجعلوا يكبرون حتى علّت تكبيراتهم
وارتفعت في الأفق، ويذكرون أنهم حملة القرآن الذين أكرمهم
الله تعالى بحمله في صدورهم ، ومن كان كذلك كان في
حصنٍ منيع لا يطاله شيء ، ومن كان يحمل القرآن ويعمل
به لا يخاف ، ولا يجبن ، ولا يهرب ، ولا يخشى عدواً ،
وهو الذي يتلو قول الحق تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا
إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يؤلّهم
يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضبٍ
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)^(١).

سابعاً : البراء بن مالك ؓ : وكذلك كان للبراء بن
مالك ؓ شرف المشاركة في تلك المعركة الخالدة ، وأبلى فيها
بلاءً حسناً ، وأظهر بطولةً خارقةً تفوق الخيال .

الآيات ١٥ — ١٦ من سورة الأنفال .

لقد كان البراء رضي الله عنه مع إخوانه المؤمنين يطارد المرتدين الذين هربوا أمامهم، وتساقطوا تحت ضربات سيوفهم كالذباب حتى دخلوا حديقة الموت وأغلقوا عليهم بابها ، واعتصموا بها هرباً من المسلمين ، فجعل البراء ينادي أصحابه يامعشر المسلمين ، احملوني وألقوني عليهم في الحديقة ... كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى ، فأبصره القائد خالد رضي الله عنه فناده قائلاً : تكلم يا براء ، فنادى البراء بصوته الجهوري العذب الجميل : يا أهل المدينة ، لا مدينة لكم اليوم ، إنما هو الله والجنة.

فكان على أثر هذه الكلمات العظيمة التجاوب الرائع من المسلمين الذين ازدادوا حماساً وشجاعة عظيمة ، واستبسلاً رائعاً يثير الإعجب والاستغراب ، ويعطي البشرية كلها دروساً بالغة في التضحية والفداء، والنبيل والشجاعة والمضاء ، ولا غرو.. فهم الذين استجابوا لله والرسول ، وأطاعوا الله والرسول ، وآثروهما على النفس والأهل والولد والمال والناس أجمعين .

ثامناً: أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها :
وكما كان الرجال يقاتلون في سبيل الله ، كانت النساء
أيضاً يقاتلن إلى جانب الرجال والإسلام لا يمنع المرأة من
المشاركة في الجهاد في سبيل الله ، ولكن حسب طاقتها
واستعدادها ، وما تتحمله طبيعتها وجبالتها .

وأم عمارة رضي الله عنها من هذا الصنف الرائع من
النساء اللواتي كان لهنَّ شرف المشاركة والاسبسال في سبيل
الله تعالى لإعلاء كلمته ، ونشر دينه ولو كره الكافرون .

لقد خرجت أم عمارة لقتال المرتدين في اليمامة أقوى ما
تكون شكيمة ، وأشدَّ عزيمة ، وأمضى بلاءً ، لقد رجحت
لتنال قبل كل شيء دينها ، ثم لولدها حبيب . — من
عدو الله مسيلمة ولنصرة الحق ، وقهر الشر وابطال والضلال ،
وحين بدأ القتال بذلت أم عمارة كل طاقتها وإمكاناتها من
فنون الحرب والقتال حريصة على قتل عدو الله مسيلمة ثأراً
لدينها ولولدها ولجميع الشهداء ، وتنتهي المعركة الخالدة ،
بمقتل مسيلمة قيل: على يد ولدها عبد الرحمن ، وقيل : على

يدٍ وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ وهو الأصح كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وحين علمت أم عمارة بهذا النبأ العظيم سجدت شكراً لله تعالى رب العالمين الذي أراح الإسلام والمسلمين من شر مسيلمة ، ودعوته الباطلة ، وعقيدته الفاسدة .

تاسعاً : حبيب بن زيد بن أم عمارة رضي الله عنهما :
الذي أبلى يومئذ مع أمه بلاءً حسناً ، وشاءت إرادة الله تعالى أن يقع حبيب بن زيد في الأسر ليدوق العذاب الاليم على يد عدو الله مسيلمة الذي أخذ يعذبه ويقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ...؟

فيقول حبيب : نعم ، أشهد .

فيقول مسيلمة : أتشهد أني رسول الله ...؟
فيجيبه حبيب : لا أشهد .

فجعل مسيلمة يقطع أعضائه عضواً ... عضواً ، وهو بعيدٌ عليه لسؤال ، وحبيب ثابتٌ لا يتراجع عن موقفه ، ولا يبيع دينه ، ولا يساوم على عقيدته وإيمانه بالله ورسوله ، ولو

تقطعتُ أعضاؤه ، وتحولتُ إلى أشلاء مُمزعةٍ فكان حبيبٌ ﷺ
 إذا ذكرَ أَمامه رسولُ الله ﷺ آمَنَ به وصلى عليه ، وإذا ذُكرَ
 أَمامه مسيلمةُ قال : لا أشهدُ، حتى مات على تلك الحالِ ﷺ
 وأرضاه وأسكنه فسيح جناتِهِ .

هزيمةُ المرتدين :

لقد ضرب المسلمون يومَ عقرباءَ أروع الأمثلةِ في الصبرِ
 والشجاعةِ والثباتِ والاستبسالِ في سبيلِ الله حتى فتح الله
 عليهم ، ونصرهم نصراً مؤزراً .

وانطلق القائدُ خالدٌ يضربُ بسيفهِ البتارَ رؤوسَ المرتدين ،
 وهو يبحثُ عن مسيلمةَ ليحسمَ المعركةَ بمقتلِهِ ، وكان عدو الله
 مسيلمةُ كلما رأى خالداً فرَّ من أَمامِهِ ، وخالدٌ ﷺ يدعوه إلى
 القتالِ وهو ينادي بشعارِ المسلمين :

يا محمداه ... يا محمداه ... وهو يطحنُ رؤوسَ الكفرِ
 بسيفهِ طحناً ، ويحصدُ رقاہم حصداً لا يقفُ أَمامُهُ فارسٌ إلا
 جندلُهُ ، ولا يدنو منه أحدٌ إلا قتلُهُ وهو يبحثُ في أرضِ
 المعركةِ عن عدوِ الله مسيلمةَ ، حتى أبصرَهُ فدنا منه وعرضَ

عليه الصلح ، وإنهاء الحرب ، وحقن الدماء ، والرجوع إلى الحق ، ولكن شيطانه غلبه وسيطر عليه وجعله يرفض الصلح والاحتكام إلى العقل ، وورطه في قتال غير متكافئ ، وحرب لا طائل من ورائها سوى الندم والذل والهزيمة والخسران والوبار .

بصر المسلمين وبلائهم تغير وجه المعركة ، ودارت الدائرة على المرتدين الذين فروا أمام المسلمين الذين أخذوا يطردوهم كالأسود ، والمرتدون يتساقطون كالخفافيش تحت ضربات سيوف المسلمين الموجهة .

ولا يزال المرتدون جادين في الحرب حتى دخلوا حديقة يقال لها حديقة الموت فأغلقوا عليهم بابها ، واحتموا داخلها ، هذا والمسلمون يحيطون بها من كل جانب ، وقد منعتهم حصونها وأسوارها العالية والمرتفعة ، ماذا عليهم أن يفعلوا ، وهامهم أولاء المرتدون معتمضون في حديقتهم ، وما هي إلا حركة واحدة ، أو خبطة محكمة حتى يدخلوا عليهم ويبيدوهم .

هنا انتفضَ البراءُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه وقال : يامعشرَ المسلمين ،
احملوني وألقوني عليهم في الحديقة .

فاحتملوه على رؤوسِ الرماحِ ثم رفعوه عالياً فألقوا به من
فوق السورِ ، فاجتمع عليه حراسُ الحديقة وجنودُ المرتدين ،
فتصدى لهم بمفرده ولم يزل يقاتلهم أمام البابِ حتى فتحه ،
ليدخل المسلمون الحديقة كالسيلِ الجارفِ ، ثم توزَّعوا في
أطرافها وهم يقتلون من فيها من المرتدين حتى قتلوا منهم
عدداً كبيراً ، فكان المقاتلون لا يمشون إلا فوق جثثِ القتلى .

هذا وقد أصاب المرتدين خوفٌ وفزعٌ كبيران وهم يرون
أسودَ المسلمين يوقعون بهمُ الخسائرَ الكبيرةَ ، حتى لقد روي
أنهم خسروا يومئذٍ وفي معركةِ الحديقةِ فقط عشرة آلاف
رجلٍ، وقيل : أكثر من عشرين ألفاً .

مقتل مسيلمة الكذاب :

ولا يزالُ المسلمون يسيطرون على أرضِ المعركةِ يقتلون
من المرتدين حتى انتهوا إلى مسيلمةِ الكذابِ لعنه الله ، فتقدم
إليه وحشيُّ بنُ حربٍ الذي قتل حمزةَ رضي الله عنه يومَ أحدٍ غدرًا ،

فسدَّ حربته نحو مسيلمة وبنفس الطريقة ، وبنفس الحربة التي قتل بها حمزة عم النبي ﷺ قتل بها عدو الله مسيلمة الكذاب ، لقد أطلق وحشي حربته نحو مسيلمة فأصاب صدره ، وحرجت تلمع من ظهره ، فسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فأجهز عليه بالسيف ، فسقط ميتاً عليه لعنة الله .

وقيل : إن الذي قتله عبد الرحمن بن زيد بن أم عمارة كما تقدم ... والله أعلم وللجمع بين الروایتين يمكن أن يقال إن عبد الرحمن بن زيد شارك أبا دجانة فضرب مسيلمة بالسيف فقتله .

فنادت امرأة من القصر : وا أمير الوضاعة ، قتله العبد الأسود ، فكان وحشي بن حرب يفخر بعمله هذا ويقول وقد رفع حربته أمام الناس مفتخراً : قتلت بحريتي هذه خير الناس في جاهليتي ، وقتلت بها شر الناس في إسلامي وانتهت المعركة الخالدة بنصر ساحق للمسلمين ، وهزيمة منكرة للمرتدين ، وأعز الله الإسلام وأهله ، وأذل الباطل وأعوانه ، وخذل الشيطان وجنده وظلّت وستطل كلمة الله هي العليا ،

ولتبقى كلمة الذين كفروا السفلى ، وأعاد الإسلام نشر لوائه فوق أرض اليمامة وغيرها من بلاد المرتدين ، وأتم تماسك بنيانه قوياً عزيزاً ، كريماً شاعخاً (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)^(١) .

وبعد انتهاء المعركة الخالدة ذهب خالد رضي الله عنه يتفقد شهداء المسلمين ، ثم بعث جنوده ليطوفوا حول اليمامة ويأخذوا ما فيها من غنائم ، دعا من بقي من أهلها إلى الإسلام ، فأسلموا ورجعوا مذعنين إلى الحق ، فرد عليهم بعض ما كان أخذ منهم من السبي ، وساق الباقين إلى المدينة .

وقد أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهم جارية ، وهي أم ولده محمد الذي يقال له : محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

ونخرج خالد رضي الله عنه وأخذ معه جماعة بن مرارة يرسف في قيوده يبحث معه عن مسيلمة ليعرفه به ، فلما أبصرا الرججال ابن عنفوة قال له خالد : أهذا هو ؟...

(١) الآية ٣٢ من سورة التوبة .

قال : لا ، والله هذا خيرٌ منه ، هذا الرجال بنُ عنفوة .
ثم أبصرا رجلاً أصفرَ أخص^(١) فقال جماعة : هذا صاحبكم .

فقال له خالدٌ رضي الله عنه : قبحكمُ الله على اتباعكم هذا ... !!

الخلقة :

يقولُ أبو رجاء : دخلتُ المدينة فرأيتُ الناسَ مجتمعين ،
ورأيتُ رجلاً يقبلُ رأسَ رجلٍ ويقولُ له : أنا فداءُ لك ، لولا
أنتَ هلكنا .

فقلتُ : مَنْ المَقْبَلُ ، وَمَنْ المَقْبَلُ ... ؟
فقالوا : ذلكَ عمرُ يقبلُ رأسَ أبي بكرٍ الصديقِ في قتالهِ
أهلَ الردّةِ حينَ منعوا الزكاةَ حتى أتواهما صاغرين .
فرضي اللهُ عن الصديقِ ، ونَصَرَ وجهَهُ ، وشكرَ سعيَهُ ،
وجزاه عن الإسلامِ والمسلمينَ خيراً الجزاء .

ورضي اللهُ عن خالدٍ ، وعن جميعِ شهداءِ المسلمين في
معركةِ اليمامةِ وغيرها من المعاركِ والغزواتِ ، وقبِلَ عملهم ،

(١) الأخص : هو أنفطس الأنف .

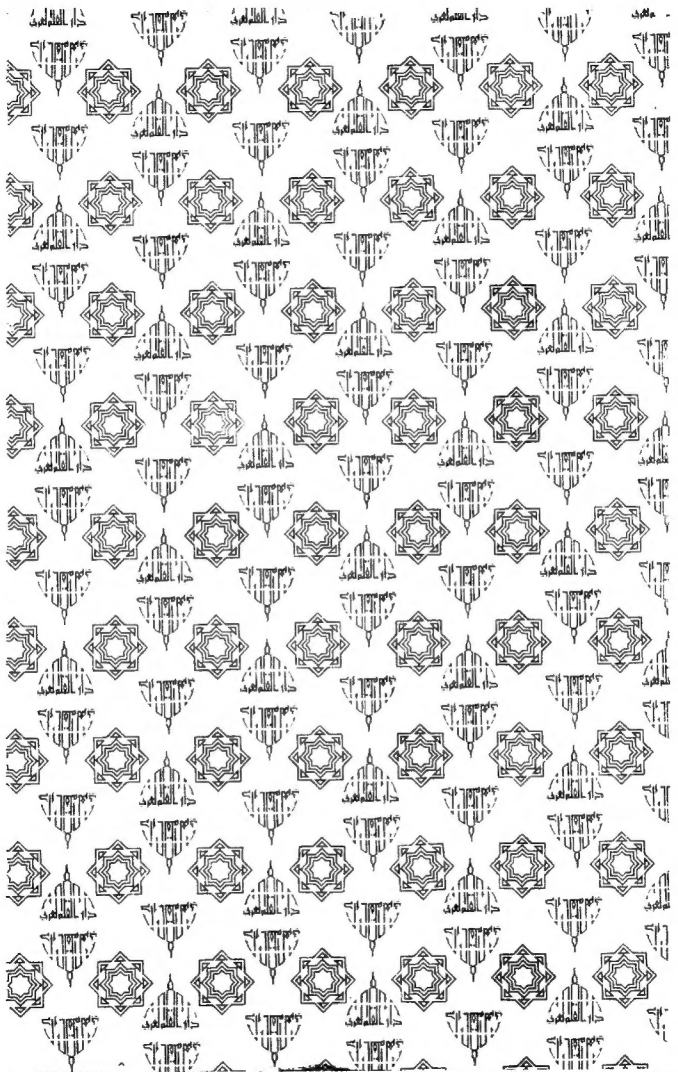
وغفر لهم ما تقدّم من ذنوبهم ، وأسكنهم فسيح جنّاته مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيّن والصّديقين والشهداء والصّالحين
وحسُن أولئك رفيقاً .

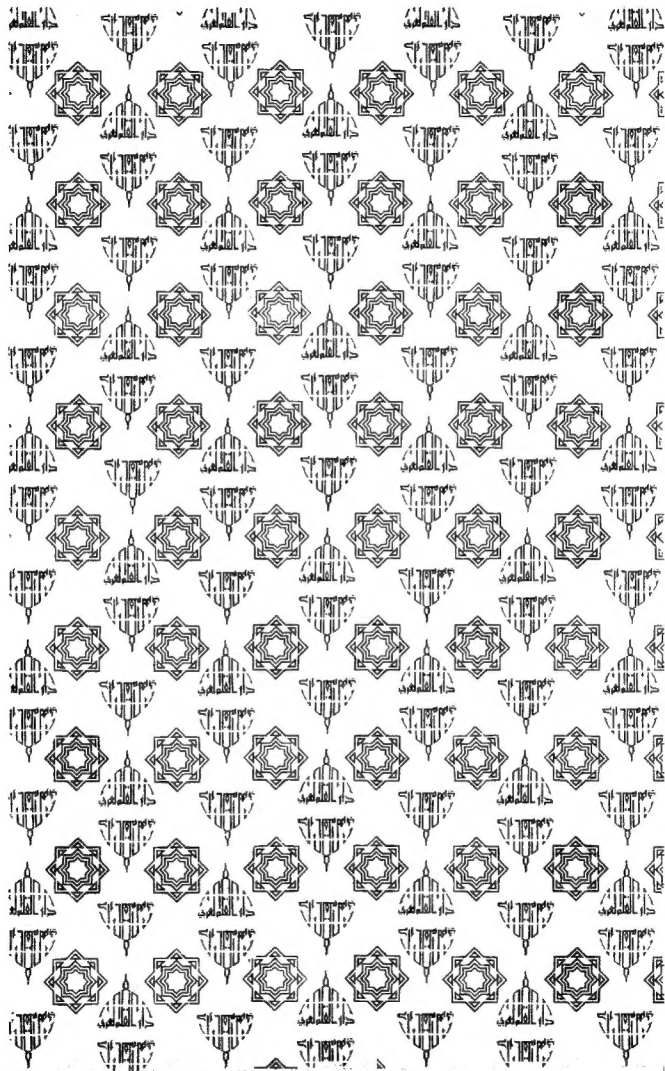
تمتِ الرسالةُ والحمدُ لله رب العالمين
والى اللقاء مع معركةٍ إسلاميةٍ أخرى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
معركة اليمامة	٣
تمهيد	٣
خطبة أبي بكر بعد توليه الخلافة	٦
أول أعمال الخليفة أبي بكر الصديق	٧
بعث جيش أسامة بن زيد	٧
أخبار الردة	١٠
الأسود العنسي	١٠
صفة مقتله	١١
عزم أبي بكر على قتال المرتدين	١٧
مشروعية قتال المرتدين	١٩
تجهيز الجيش	٢٣
لقاء خالد وطلحة	٢٤
اللقاء	٢٩
مصير طلحة ومن تابعه	٣٣
نموذج من خرافات طلحة	٣٦
مطاردة المرتدين	٣٧
سجاح وبنو عميم	٤٢
سجاح ومسيلمة الكذاب	٤٤
خالد ومالك بن نويرة	٤٨

٥٣	شكوى متمم بن نويرة عند أبي بكر الصديق
٥٧	معركة اليمامة
٥٧	مدخل إلى فتنه مسيلمة الكذاب
٥٩	خالد في طريقه إلى اليمامة
٦٢	اللقاء الأول
٦٣	الحالة النفسية عند الجيشين
٧٠	بدء القتال
٧٤	صور من بطولات الصحابة
٧٤	أولاً : زيد بن الخطاب
٧٦	ثانياً : ثابت بن قيس
٧٩	ثالثاً : سالم مولى أبي حذيفة
٨١	رابعاً : أبو حذيفة بن عتبة
٨٢	خامساً : عبد الرحمن بن أبي بكر
٨٣	سادساً : البراء بن معرور
٨٤	سابعاً : البراء من مالک
٨٦	ثامناً : أم عماره نسيه بنت كعب
٨٧	تاسعاً : حبيب بن زيد بن أم عماره
٨٨	هزيمة المرتدين
٩٠	مقتل مسيلمة الكذاب
٩٣	الخاتمة
٩٥	الفهرس





معارك عربية إسلامية خالدة

الناشر والناشرون

- | | |
|------------------------|-------------------------|
| ١ - معركة ذي قار | ١١ - معركة نهاوند |
| ٢ - معركة بدر | ١٢ - معركة فتح الاندلس |
| ٣ - معركة أخـبـ | ١٣ - معركة بلاط الشهداء |
| ٤ - معركة الخندق | ١٤ - معركة وادي الحجارة |
| ٥ - معركة حـنـين | ١٥ - معركة العمورية |
| ٦ - معركة اليمامة | ١٦ - معركة الزلاقة |
| ٧ - معركة اليرموك | ١٧ - معركة حـطـين |
| ٨ - معركة الجسر | ١٨ - معركة بيت المقدس |
| ٩ - معركة القادسية | ١٩ - معركة عـكـا |
| ١٠ - معركة فتح المدائن | ٢٠ - معركة عين جالوت |

لم تكن الحرب لدى العرب المسلمين غاية لذاتها ، وإنما كانت لردّ العدوان ، وإلحاق أولئك الذين يقفون في وجه الدعوة ويحولون دونها ، وهي معارك تشمل على بطولات وتضحيات وجود بالنفس (والجود بالنف) غاية الجود .

ودار القلم العربي للأطفال بحلب - إذ تنشر هذه الكتب - إنما تسعى إلى أن نفوس الأبناء حبّ التضحية والفداء ، وحبّ أبائهم الذين بذلوا دماءهم أ شامخة لا ينسها مستعمر غاشم .

والله من وراء القصد

الناشر

Bibliotheca Alexandrina



0606391

I.S.B.N: 1 - 5050

